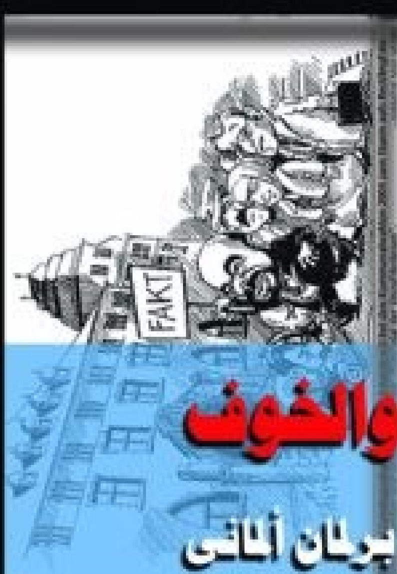






المشروع القومي للترجمة







ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف

تجربة نائب ألمانى من أصل عربى فى برلمان ألمانى



تأليف جمال قارصلى

ترجمة نصر عاروري

تقديم سحر صبحي عبدالحكيم

تصدير ابراهيم نافع

752

المشروع القومى للترجمة

ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف

تجربة نائب من أصل عربى فى برلمان ألمانى

تـأليـف : جمال قارصلى
ترجمـة : نمر عارورى
تقـديم : سحر صبحى عبد الحكيم
تصـدير : إبراهيم نـافـع



٢٠٠٤

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٧٥٢
- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف
- جمال قارصلى
- نمر عاروری
- سحر صبحى عبد الحكيم
- إبراهيم نافع
- الطبعة الأولى : ٢٠٠٤

هذه ترجمة كتاب :

Maulkorb für Deutschland

Jamal Karsli

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 **Fax :** 7358084.

المحتويات

تصدير

إبراهيم نافع

عندما قدّم لى السيد جمال قارصلى النائب فى البرلمان الألمانى كتابه هذا طالبًا منى كتابة تقديم له ، فكرت فى الأمر طويلاً ، فتجربة الرجل غنية وتكشف عن معدن أصيل لإنسان من أصل عربى هاجر إلى ألمانيا وحمل معه هموم أمته ، ولم تنسه السنوات التى عاشها فى ألمانيا قضايا وطنه الأصلى ، بل وقضايا أمته والحضارة التى ولد فى ظلها وعاش فيها سنوات عمره الأولى. فعادة ما تسلك الغالبية العظمى من المهاجرين العرب الطريق السهل الذى يتمثل فى الانسلاخ التام عن الجذور، والعيش بالهوية الجديدة. كما يبالغ البعض أحيانًا فى محاولة إثبات الولاء للهوية الجديدة عبر العمل مع قوى سياسية وثقافية تتخذ من العداء للهوية العربية وللثقافة والحضارة العربية أهدافًا واضحة. لكن جمال قارصلى اختار الطريق الصعب ، ونجح فى ترسيخ معادلته التى تتمثل فى الاندماج فى المجتمع الألمانى مع عدم التفريط فى هويته الأولى أو الانفصال عن قضايا وطنه الأصلى .

والحقيقة أننى ما إن انتهيت من قراءة الكتاب حتى وجدت مساحة كبيرة من الالتقاء فى الأفكار والرؤى بيننا ؛ فالرجل عانى كثيراً لدفاعه عن قضايا أمته العربية، لكن عزيمته لم تهن برغم الحملات الشرسة التى شنها ضده اللوبى الصهيونى فى ألمانيا وملاحقته له حتى فى وطن زوجته " إيطاليا ". ولم يتراجع عن أفكاره والطريق الذى اختاره حتى بعد اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ فى نيويورك وواشنطن وما جلبته هذه الأحداث من متاعب للعرب والمسلمين فى الغرب عموماً .

ولعل أبرز ما استوقفنى فى تجربة جمال قارصلى تلك المعركة الفكرية التى خاضها فى مواجهة اللوبى الصهيونى وإصراره على توضيح الخطوط الفاصلة بين السامية والصهيونية، متمسكًا بأن الثانية حركة سياسية سبق أن دمغتها الأمم المتحدة بالعنصرية عام ١٩٦٧ ، ومن ثم فإن نقد السياسات الإسرائيلية وإدانة العدوان الإسرائيلى على الشعب الفلسطينى لا يندرج ضمن " معاداة السامية " كما يروج اللوبى الصهيونى فى الغرب .

وفى تقديرى أن كتاب السيد جمال قارصلى يأتى فى توقيت مناسب لكى يطلع القارئ العربى على تجربة حية عاشها أحد أبنائه الملتزمين فى مجتمع غربى ، واشتبك فى معارك فكرية وسياسية مع المنظمات الصهيونية والمتعاطفة معها أو التى تخشى نفوذها دون أن يلين أو يتراجع .

لقد أثار كتاب السيد قارصلى لدىَّ ذكريات التجربة التى قادتنى فى النهاية إلى تأسيس المنظمة العربية لمناهضة التمييز. فقد لاحظت

مبكراً تزايد الحديث عن معاداة السامية ، واتجاه المنظمات الصهيونية إلى استخدام هذا المصطلح وإشهاره كسلاح فى وجه أفراد وهيئات عربية عديدة وصل فى بعض الأحيان إلى رفع دعاوى قضائية. وبرغم أن مفهوم معاداة السامية له معانٍ محددة ، ويعنى بالأساس الفعل أو القول العنصرى ضد مجموعة من البشر تنتمى إلى العرق السامى ، وهو العرق الذى يضم اليهود والعرب معًا ، فإن وسائل الإعلام الإسرائيلية والمنظمات الصهيونية والقوى السياسية الإسرائيلية قد حرّفت هذا المفهوم وشوهته من أكثر من زاوية.

فمن ناحية جرى استبعاد العرب قسراً من هذا المفهوم ، وبرغم أنهم يمثلون قلب العنصر السامى ، فإن المنظمات الصهيونية والقوى السياسية الإسرائيلية عملت بشكل منظم على الاستئثار بالانتماء إلى العرق السامى، ومن ثم فقد تم استبعاد كل ما هو غير يهودى من إطار مكونات العرق السامى ، وبات مفهوم " السامى " قاصراً على اليهود فقط، وهو أمر أحسبه كان مقصوداً تمهيداً لإشهار السلاح فى وجه أبرز مكونات العرق السامى ، أى العرب.

ومن ناحية ثانية تم توسيع مفهوم معاداة السامية لينتقل من كل الأقوال والأفعال التى تتم ضد أبناء العرق السامى ، إلى شمول كل كلمة نقد توجه للسياسة الإسرائيلية ، بل تم توسيع المفهوم تماماً ؛ بحيث بات يوظف لإرهاب كل من يتصدى بالنقد للسياسات العدوانية الإسرائيلية والممارسات اللاإنسانية التى ترتكبها قوات الاحتلال الإسرائيلى بحق

الشعب الفلسطينى. ومن ثم بات أى نقد سياسى لإسرائيل كدولة أو لأى من أعضاء الحكومة الإسرائيلية يعد نوعًا من " معاداة السامية " .

ومن ناحية ثالثة بات مصطلح معاداة السامية يستخدم كنوع من "الردع الاستباقى" الذى يوجه لكل مصادر النقد المحتملة لسياسة إسرائيل أو ممارسات قوات الاحتلال ، وقد جرى عبر توظيف شبكة ضخمة من المصالح والعلاقات والمنظمات نشر حالة من الرعب فى مواجهة قوى سياسية ومنظمات مدنية دولية لمنعها من مجرد مناقشة السياسة الإسرائيلية أو الممارسات اللاإنسانية التى ترتكبها قوات الاحتلال الإسرائيلى. وفى مرحلة تالية تم فرض حظر على مناقشة قضايا معينة تاريخية وسياسية حتى من قبل الأكاديميين والباحثين، واعتبر مجرد الاقتراب بالدراسة من قضايا معينة كفيلاً بإشهار سلاح معاداة السامية فى وجه الساعى إلى البحث والدراسة ، وهو الأمر الذى جعل مجالات معينة من البحث خارج سياق المطروق علمياً وأكاديمياً فى الجامعات الدولية .

وما يهمنى تأكيده هنا هو أن المفهوم الحقيقى للسامية – بمعنى أنه يشمل كل أبناء العنصر السامى ، ومن ثم يجمع اليهود والعرب معًا – أمر معروف من الناحية التاريخية ؛ فالعرب ساميون مثل اليهود ، وهو أمر تقره دائرة المعارف العبرية على النحو الذى أشار إليه شموئيل جوردون فى مقال له بعنوان " معاداة إسرائيلية للسامية " ، والذى نشر على الموقع الإلكترونى لصحيفة معاريف بتاريخ التاسع من نوفمبر

عام ٢٠٠٣ ؛ حيث كتب يقول " وصفت دائرة المعارف العبرية معاداة السامية بأنها كل ظواهر الكراهية والعنصرية الموجهة ضد الساميين" ، وأضاف " ومن هنا فإن معاداة السامية تشمل أيضًا كل مظاهر الكراهية والعنصرية الموجهة ضد العرب " ، وأضاف بعد ذلك " لقد تطورت معاداة العرب فى إسرائيل وتكونت من الاحتقار لمظاهر التخلف والاستهانة بالطبيعة البشرية. لقد برزت شحنات عميقة من العنصرية فى صالونات : مساء السبت ، وفى ملاعب كرة القدم ، وفى الأسواق ؛ حيث تسمع أقوالاً عنصرية من قبيل : قتلة ، وعديمو الأخلاق ، والإرهاب هو سياستهم ، وحذار من الثقة فيهم ، وإن الورقة التى يوقعون عليها لا تساوى ثمنها، والموت للعرب، والعربى الجيد هو العربى الميت .

وفى الحقيقة فإن ما قاله جوردون كنا نركز عليه فى العالم العربى، ونقول لكل الذين أشهروا سلاح معاداة السامية فى وجه العرب : إن العرب لا يمكن أن يكونوا معادين للسامية لأنهم ساميون ، ومن ثم لا يمكن للإنسان أن يكون معاديًا لنفسه وعرقه ، وإنه إذا كانت هناك تجاوزات من جانب أفراد أو هيئات عربية وهى موجودة بالفعل ، فإنها تدخل فى باب آخر غير معاداة السامية ، ويظل موقفنا بعد ذلك هو عدم الموافقة على استخدام معاداة السامية كسلاح لإرهاب كل من يسعى إلى مناقشة قضية تدخل ضمن ما وضعته المنظمات الصهيونية فى إطار " قائمة المحرمات " ؛ فهذه القائمة تضخمت بشدة، وباتت تنطبق على كل كلمة نقد سياسى لإسرائيل أو اختلاف مع سياسة دولة إسرائيل . هذا

بينما حرص قادة المنظمات الصهيونية على أن يكونوا جميعًا فوق مستوى النقد ؛ فكل نقد يوجه لهم يقابل بإشهار سلاح معاداة السامية ، وتدريجيًا أعطى قادة المنظمات الصهيونية والقوى السياسية الإسرائيلية لأنفسهم الحق فى احتكار دور المحقق والقاضى فى كل الوقائع التى يرون أنها تتضمن " معاداة للسامية " ، وباتوا يوجهون التهمة إلى كل من ينتقد السياسة الإسرائيلية.

لقد أثار نشاط السيد قارصلى قلق المنظمات الصهيونية فى ألمانيا وخوفها ؛ فهم يريدون " العربى " إما " مستوعبًا مدجنًا " وإما " متطرفًا متشددًا منفصلاً " عن المجتمع الذى يعيش فيه، لكن أن يندمج فى مجتمعه ولا ينسلخ عن قضايا أمته ، وينشط فى الحياة السياسية ويوسع دائرة نشاطه وأصدقائه من غير العرب ؛ فذلك ما يمثل أزمة كبرى لهذه المنظمات ، ومن ثم فقد نشطت واستخدمت أساليب ملتوية فى مهاجمته، وعملت على تشويه صورته.

ولعل أبرز الدروس التى يمكن استخلاصها من تجربة السيد قارصلى هى الإيمان بسلامة الموقف وعدالة قضاياه وتوافر الإرادة القوية التى تمكنه من الصمود فى مواجهة الحملات المسعورة التى تشنها المنظمات الصهيونية ؛ فلقد كرس جهوده من أجل حصول المهاجرين على حقوقهم مؤكدًا أنها ليست منحة تُعطى لهم، بل هى نتيجة كفاحهم الشخصى من أجل الوصول إليها.

إن تجـربة السـيـد قـارصلى تكشف عن عـمق الرؤية وسـلامـة البصـيرة، وأحسـب أنها تمثل خبرة مفيدة ومليئة بالدروس للعرب الذين يعيشون فى الغرب ؛ فهى تقدم لهم دروسًا فى كيفية الاندماج فى الغرب دون الانسلاخ عن قضايا الوطن الأصلى .

إبراهيم نافع

رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير الأهرام

رئيس اتحاد الصحفيين العرب

رئيس المنظمة العربية لمناهضة التمييز

تقديم

سحر صبحى عبد الحكيم

هذا الكتاب الذى صدر بالألمانية سنة ٢٠٠٣ يحتوى على أبعاد تهم القارئ العربى ؛ فالكاتب ألمانى من أصل عربى ، ولد وقضى سنوات عمره الأولى فى سوريا فنشأ وسط الثقافة العربية ثم هاجر إلى ألمانيا حيث أتم دراسته الجامعية وعاش وعمل فيها حتى أصبحت هى الأخرى وطنًا له. يعرض الكتاب تجربته الشخصية كألمانى انخرط فى العمل السياسى فى بلده، ولكن من منظور عربى إسلامى. ومن ثم، فالكتاب له أكثر من بُعد. يمكن أن يُصنف كسيرة ذاتية أو تجربة سياسية أو كنص واصل بين ثقافتين، كاشف عن ما يمكن أن يمر به عابرو الثقافات والعابرون بين الثقافة العربية والغربية على وجه الخصوص. فالكاتب، جمال قارصلى، تمسك بالأبعاد المتعددة لثقافتيه، كما عمل فى المجال السياسى حيث تحتك المصالح، وعادة ما تتضارب.

أخذ جمال قارصلى على عاتقه إيصال أصوات العرب والمسلمين ومنظورهم وهمومهم إلى ممثلى الشعب الألمانى. والعرب والمسلمون الذين اهتم بهم جمال قارصلى ليسوا فقط سكان الدول العربية

والإسلامية، وإنما هم فى المقام الأول هذه الأقلية العرقية الألمانية من أصول عربية التى عانت من الانزواء على هامش مجتمعهم الجديد لأسباب ثقافية وسياسية ؛ فقد كان تمسكهم بهويتهم الثقافية والدينية يعوق رغبتهم فى الانخراط فى المجتمع الألمانى، ليس فقط بسبب الحواجز الثقافية والنفسية، وإنما أيضًا بسبب ترجمة هذه العوائق إلى محدودية سياسية واقتصادية. وإن لم تكن هذه قصة جديدة أو غريبة من حيث خطوطها العريضة ؛ فهى قصة الكثير من الجاليات العربية والإسلامية التى تقطن الدول الأوروبية، إلا أن لكل حالة من هذه الحالات ظروفها الخاصة التى تشكلها نوعية الثقافة التى ارتحلوا إليها والظروف السياسية فى بلد المهجر ، وكذلك العلاقات التاريخية بين ثقافتهم الأم والدول التى ارتحلوا إليها. فتجربة العربى فى فرنسا تختلف من حيث تفاصيلها عن تجربة عربى آخر فى هولندا مثلاً، وللحالة الألمانية خصوصيتها أيضاً.

العربى فى ألمانيا منحصر بين التاريخ النازى الذى ولّى، الذى صنف الإنسان ورتبه طبقًا لانحداره العنصرى المفروض عليه، والذى احتل العربى – بوصفه ساميًا – فيه مرتبة متدنية، وبين بعض المبالغات التى صاحبت تصحيح ذلك المسار. فمن المعروف أن ألمانيا النازية اضطهدت اليهود بشكل واضح ، وشاء خلفُها أن يستعدل الميزان برد حقوقهم إليهم، فكان أن علت الأصوات اليهودية فى المجتمع الألمانى ، وتم الإنصات إليها بشكل واضح. ولكن من بين هذه الأصوات كانت بعض الأصوات الصهيونية التى استغلت الانقلاب السياسى للأوضاع ، وحولته إلى صيغة ضغوط نفسية وسياسية على المجتمع الألمانى

وصانعى السياسة فيه ؛ فاكتسبت مساندتهم أو – على أفضل تقدير– صمتهم تجاه نقل الفكر والممارسات النازية إلى أرض عربية واضطهاد وتشتيت شعبها بدعوى حقها فى خلق دولة ووطن يقوم على العودة إلى لحظة تاريخية قديمة مع حذف قرون من الزمن كانت قد تغيرت خلالها جغرافية وديموجرافية فلسطين، وأضيف إلى تاريخها ما لا يمكن أن يُمحى .

ومن هنا ؛ فإن تجربة جمال قارصلى فى البرلمان الألمانى لا تقتصر على كونها تجربة محدودة زمنيًا بلحظة حدوثها، وإنما هى تجربة تتشابك مع الرواسب التاريخية المتخلفة عن الفترة النازية وما تلاها من فترة إصلاح المسار السياسى فى ألمانيا، كما أنها – بحكم انتمائه إلى ثقافتين وجغرافيتين – تعيد الربط بينهما من خلال المراجعات السياسية .

وإن كانت هناك رواسب من التاريخ السياسى الألمانى تشوب، بل تشكل، تجربة النائب الألمانى العربى، فإنها تجربة تتشكل وتتأثر بالحاضر السياسى أيضًا. وحاضر ألمانيا الثقافى الاجتماعى بدأ يعى انقلاب الميزان لصالح الصهيونية داخل كواليس السياسة الألمانية، كما أن حاضرها السياسى – والذى يضم فيما يضم انضمامها الى الاتحاد الأوروبى كإحدى القوى الرئيسية المشكلة لسياسته وتوجهاته – يبشر بمراجعة سياسية مع الدول العربية، وخاصة دول حوض البحر المتوسط منها.

فمن خلال الصيغة السياسية للاتحاد الأوروبى التى اتخذتها أوروبا مؤخرًا، أصبحت أوروبا لاعبًا مهمًا على مسرح السياسة العالمية، وإن

كان دورها يشوبه الكثير من الشك والالتباس. فبعد سقوط حائط برلين نتيجة لتفكك الكتلة الشرقية ونهاية حالة العداء البارد بين شرق أوروبا وغربه تحولت خطوط العداء من شرق أوروبا إلى جنوبها. فبعد إعلان نهاية التاريخ على المستوى العالمى لم تجد الولايات المتحدة - تلك القوة التى خرجت منتصرة من الحرب الباردة - ما يبرر تنمية برامجها العسكرية برغم أهمية احتفاظها بالتفوق العسكرى للهيمنة على العالم والاحتفاظ بوصفها القوة العظمى. فكان أن أعلن صامويل هنتينجتون "صدام الحضارات"، وهى خطة طويلة المدى ترشح مجموعة من الحضارات والأراضى لتكون مسارح للصدام وفقًا لتراتب زمنى. وقد رشح هنتينجتون الحضارة الإسلامية لتكون أول هذه النطاقات الحضارية (السياسية) فى الصدام المقبل، وتبنت السياسة الأمريكية نظريته. وبهذا تحول خط العداء الغربى من شرق أوروبا إلى جنوبها حيث أراضى العدو الجديد.

وفى إطار هذا تبنى حلف شمال الأطلنطى ما عرف باسم " مبادرة المتوسط "، والتى تدعو إلى إقامة "حوار" بين أوروبا وبعض دول المتوسط. وإن كان تاريخ الاتحاد الأوروبى ، خاصة فيما يختص بسياسته المتوسطية يشوبه بعض الشك النابع من التباس علاقات بعض قواه المؤثرة فى كل من الولايات المتحدة والعالم العربى ، إلا أن دوره هذا أخذ شكلاً جديداً فى السنوات القليلة الماضية. فالدور الأوروبى بدا غامضًا فى ظل العلاقات الحميمة التى كانت تربط أوروبا الغربية بالولايات المتحدة من خلال اشتراكهما فى حلف شمال الأطلنطى،

وبسبب التحالف الأقدم الذى خلفته الحرب العالمية الثانية. وقد زاد توجس العالم العربى من أوروبا مع بداية مشروع الشراكة الأورومتوسطية ؛ حيث رأى بعض المحللين فى هذا المشروع صيغة جديدة للهيمنة الشمالية على دول الجنوب تنفيذًا لأجندة عبر أطلنطية مشتركة، كما رأوا فى ذلك اتخاذ أوروبا وضع تأهب سياسى حول أحد خطوط النزاع التى رسمها مهندس السياسة الخارجية الأمريكية ومنظر "صدام الحضارات" صامويل هنتينجتون. فهذه الشراكة زادت من الوزن السياسى والعسكرى لبعض الدول الأوروبية الجنوبية ، خاصة فرنسا التى تشكل إحدى القوى الكبرى فى الاتحاد الأوروبى، بالإضافة إلى تحالفها الأسبق (رغم تنافسها) مع الولايات المتحدة فى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وقد زاد من هذا الشك وضع فرنسا كدولة استعمارية لها تاريخ سجالى مع دول المغرب العربى ذلك الدور الذى ما زال واضحًا فى علاقتها مع الجزائر بالذات. كما زاد من التشكك فى جدية مشروع الشراكة الأورومتوسطية إقصاء بعض الدول الجنوبية المطلة على حوض المتوسط من هذه الشراكة مثل سوريا ولبنان وليبيا. وقد لفت إقصاء ليبيا بالذات النظر إلى خضوع الاتحاد الأوروبى للأجندة (أو الضغوط) الأمريكية ؛ حيث أكد هذا الموقف التزام الاتحاد الأوروبى بالمقاطعة الأمريكية التى ظلت مفروضة على ليبيا لسنوات، كما أشار أيضًا إلى انتقال الحالة الخاصة للعلاقات الأمريكية السورية إلى أوروبا واتحادها.

غير أن هذا المشروع أخذ تطورًا آخر بعد توتر العلاقات بين فرنسا والولايات المتحدة فى أعقاب أحداث التاسع من سبتمبر ٢٠٠١،

وارتكزت فرنسا على القوة الأوروبية فى تصديها لبعض القرارات الأمريكية ، خاصة تلك المتعلقة بالشرق الأوسط، فمالت كفة الميزان فى العلاقات المتوسطية تجاه إقامة تحالف حقيقى تحمى به أوروبا وفرنسا بالذات حدودها الجنوبية، وترعى مصالحها الاقتصادية فى المنطقة.

وقد زاد من عدو المشروع الأورومتوسطى فى هذا الاتجاه تفعيل دور ألمانيا وظهورها كقوة مؤثرة فى أوروبا ، متخطية بذلك خضوعها التقليدى وانصياعها لأمريكا التى هزمت ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية، وفرضت عليها (مع بقية الحلفاء) شروط بقائها. فدعم دور ألمانيا وتنشيطه فى هذا المشروع يعنى خلق نوع من التوازن داخل الاتحاد الأوروبى فيما يختص بعلاقاته بدول الشرق الأوسط. وقد زاد من مصداقية المشروع منح ألمانيا دوراً أكبر ؛ فهى دولة لم تتدخل استعمارياً فى الشرق الأوسط، كما أنه منذ البداية – أى منذ إعلان مبادرة المتوسط – أعلنت ألمانيا موقفاً مختلفاً عن ذلك الذى تبناه حلف الأطلنطى ؛ حيث وافقت على إقامة علاقات حوار وتعاون مع دول جنوب المتوسط على أن تشمل هذه العلاقة جميع دول المتوسط دون استثناء كما أعلن وزير الخارجية الألمانى كلاوس كينكل.

وقد تنبه الاتحاد الأوروبى إلى أهمية البعد الثقافى فى إدارة العلاقات الأورومتوسطية ؛ فنوه بأنه من أهم العوامل المساعدة على رسم وتعريف العلاقات بين الشمال والجنوب طبقاً لصيغة صراعية أو حوارية عامل صورة الحضارة المغايرة، أى صورة العرب والمسلمين

فى أوروبا وصورة الأوروبيين فى العالم العربى والإسلامى، كما أشار إلى أن الأنماط السلبية السائدة لم تتمُ عشوائيًا، وإنما تشكلت بوعى من بعض الجماعات ذات المصالح، وتظهر هذه الأنماط بوضوح حول خطوط تماس الحضارات المرشحة لأن تكون خطوط صراع.

وقد اتخذ وعى ألمانيا بأهمية تصحيح صورة كل من الثقافتين فى عيون الآخر خطوات عملية خاصة بعد أحداث نيويورك وواشنطن. فمنذ عام ١٩٩٧ - على أقل تقدير - والسياسة الألمانية تتبنى نظرية حوار الحضارات من باب خلق جسور تفاهم بين ألمانيا بشكل خاص والاتحاد الأوروبى بوجه عام وبين الحضارات والثقافات التى يعنيها شأنها. ومن الخطوات العملية التى اتبعتها ألمانيا فى هذا الاتجاه عقد سلسلة من المؤتمرات بين ممثلى هذه الثقافات لتبادل وجهات النظر وتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى كل من الطرفين. وقد عنيت هذه المؤتمرات بإيصال نتائجها إلى المواطنين من خلال إشراك عدد كبير من الإعلاميين.

ونظرة سريعة على أجندة هذه المؤتمرات والمشاركين فيها وتوصياتها توضح تحول الإستراتيجية الألمانية لهذا المشروع. ففى عام ٢٠٠٠ عقدت ألمانيا سلسلة من المؤتمرات مع كل من كوسوفو وجنوب أوروبا وبولندا وإسرائيل، تلتها سلسلة أخرى فى العام التالى مع كل من جنوب أوروبا وفرنسا وإسرائيل كما أفردت فى العام نفسه مؤتمراً كاملاً لبحث توسع الاتحاد الأوروبى. فمن الواضح إذاً أنه حتى عام ٢٠٠١

كان محور هذه المؤتمرات اهتمام ألمانيا بجيرانها الأوروبيين وخلق قنوات تخاطب معهم بهدف توسيع الاتحاد الأوروبى ودعم الصلات بين الثقافات الأوروبية المتنوعة، ولكن عام ٢٠٠٢ شهد تحول الاهتمام من البؤرة الأوروبية إلى المتوسطية ؛ فأول مؤتمرات ٢٠٠٢، والذى عقد فى القاهرة فى ١٨ فبراير تناول العلاقات بين ألمانيا والعرب، وحضره ممثلون عن الطرفين، ثم أعقبه فى أكتوبر من العام نفسه مؤتمر آخر للحوار الثقافى بين أوروبا والعالم الإسلامى. واستمرت أنظار ألمانيا تتجه جنوبًا وشرقًا؛ فكان أن عقدت مؤتمراتها للعام التالى، أى ٢٠٠٣ ، مع كل من تركيا ودول الشرق الأوسط والصين وإيران.

وقد كان من أهداف مؤتمر القاهرة السعى إلى خلق جو من القبول المتبادل والأحكام الموضوعية والتصارح والشفافية كشرط أساسى لإقامة الحوار. وقد جاء هذا المؤتمر فى توقيت مهم وحرج؛ حيث ازداد اهتمام الغرب عامة بالإسلام والمسلمين فى أعقاب أحداث سبتمبر فاكتسب التحاور بين المشاركين من الطرفين أهمية خاصة. ويعكس هذا المؤتمر حالة التوتر التى سادت العلاقات بين الثقافتين حيث شكا كل من الطرفين من قصور فى الطرف الآخر. فأعرب العرب عن استيائهم من الربط بين العرب والشر فى الخطاب الإعلامى الألمانى، وطالبوا بضرورة العمل على تعميق فهم الثقافة العربية والإسلامية لتجنب إعادة إصدار مثل هذه الأنماط المسطحة، والتى لا تخدم أى من الطرفين، كما أعرب الجانب الألمانى عن غضبه مما أسموه التوجيه السياسى لحالة الغضب فى الشارع العربى نحو الغرب، وكأنما كل مشاكل العرب من صنع

الغرب. ورغم بعض التوتر الذى طفا على سطح النقاشات فإن التجربة كانت فى مجملها إيجابية ؛ مما دعا المؤتمرين إلى التوصية بتوسيع دائرة الحوار لتشمل أوروبا والعالم الإسلامى بدلاً من حدها بين ألمانيا والعرب ؛ فكان مؤتمر "الحوار الثقافى والفهم المتبادل بين أوروبا والعرب" فى أكتوبر ٢٠٠٢.

وكما تخطى مؤتمر أكتوبر سابقه من حيث عدد الدول والثقافات المشاركة، تخطاه أيضًا من حيث الخروج من اقتصاره على التمثيل الرسمى ؛ فدعا إلى المؤتمر ممثلين عن الناشطين المدنيين إلى جانب الإعلاميين والممثلين الرسمين، ولكن لعل أهم حاجز تخطاه هذا المؤتمر هو نقل الحوار من المستوى الثقافى فحسب إلى المستويين الثقافى والسياسى. فقد أكد بعض المسلمين المشاركين استياءهم من التفاوت الواضح، بل والتناقض فى المواقف السياسية العالمية لأوروبا، ورجعوا إلى التاريخ الاستعمارى الأوروبى فى الشرق الإسلامى لشرح جذور توجسهم، كما ربطوا هذا التاريخ بممارسات الحاضر. فالمشاركون المسلمون رأوا أن الشرق الإسلامى يقدر الثقافة الأوروبية ويكن لها الإعجاب، إلا أنه لم يقبل سياسات أوروبا التدخلية التى سادت العلاقات بين المنطقتين على مدى القرنين السابقين. ومن ثم أوضحوا فصل وجهات النظر المسلمة والعربية بين الرؤية الثقافية والرؤية السياسية لأوروبا مؤكدين أن خلافهم القائم مع أوروبا هو خلاف سياسى وليس ثقافيًا أو حضاريًا، ولكنهم لم يقللوا من أهمية الحوار الثقافى نظرًا لخلط الغرب بين الاثنين وتوظيفه الثقافة لخدمة السياسة. ورأى المتحدثون أنه

لا يُقبل الاستمرار فى حوارات ثقافية بينما الأمم المتحدة ، والتى تسيطر عليها أوروبا وأمريكا تتغاضى عن تنفيذ القرار ٢٤٢ ودعم حقوق الفلسطينيين، وهو قرار وموقف سياسى محض، على أوروبا أن تتعامل معه إن شاءت أن تقيم حوار تفاهم مع المسلمين والعرب .

على هذه الوتيرة، شكك بعض المؤتمرين فى أسباب اهتمام أوروبا بالتحاور مع المسلمين والعرب. أوضح النقاش أن موقف أوروبا من الذهنية العربية موقف مريب ؛ فبين ارتباطها بالولايات المتحدة من خلال حلف شمال الأطلنطى، والتى تحاول تقليص تدخله وانتشاره فى العالم، وارتباطها الدولى بالأمم المتحدة التى تحاول تفعيل دورها، يمكن القول بأن هَمَّ أوروبا الأكبر هو ترجيح السياسة على العسكرة بما يكفل لها موقع قوة استناداً الى إمكاناتها. فبرغم ضعف أوروبا العسكرى، إذا قورنت بالولايات المتحدة، فإنها ما زالت تتمتع بثقل سياسى، كما أنها تعمل على دعمه وتقويته. وهذا حق مشروع لأوروبا، إلا أن تخاذلها فى الضغط من أجل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة المعطلة، والتى من شأنها خدمة مصالح المسلمين والعرب، يضفى بكثير من الشك على سياساتها حتى فى إطار هذه المؤسسة التى تريد تفعيل دورها. وبالرغم من هذا، فإن ترجيح السياسة على العسكرية من شأنه أن يخدم كل فاعل ذى عقل ولسان .

فى ضوء هذين المؤتمرين يظهر أن رؤية العرب والمسلمين مازالت مركزة على سؤال : ماذا تريد أوروبا منا ؛ وما زالت الردود والنظريات

المطروحة تتفاوت بسبب التحولات السريعة فى السياسة العالمية إضافة إلى وجود التاريخ الاستعمارى الأوروبى فى المنطقة كحجر عثرة يعوق هذه التحولات إلى حد بعيد. فهناك نظريتان تسيطران على الساحة ؛ يعتقد القائلون بالنظرية الأولى أن جهود الحوار التى تقوم بها أوروبا تسير فى اتجاه تذويب الحدود الثقافية والنفسية بين الثقافات الأورومتوسطية مع الإبقاء على الحواجز السياسية والاقتصادية حماية لنفسها من ثقافة جارة تراها خطرًا على أمنها. وبالتالى فإن المتمسكين بهذه النظرية يرون فى الحوار الأورومتوسطى مراوغة سياسية تهدف إلى احتواء الخطر وحماية حدود أوروبا الجنوبية المتاخمة لحدود من يصر الأوروبيون على رؤيتهم كأشرار العالم، طبقًا لهذه النظرية. أما القائلون بالنظرية الثانية فيرون أن جهود أوروبا تهدف إلى تعزيز موقفها مقابل القوة الأمريكية حماية لمصالحها الاقتصادية والأمنية فى المنطقة من خلال التفاوض مع دول الشرق الأوسط حرصاً على سوق لا تستطيع الاستغناء عنه خاصة بعد أن أقصت الولايات المتحدة كلاً من فرنسا وألمانيا، وهما قوتان اقتصاديتان مهمتان فى أوروبا من المشاركة فى إعمار العراق بسبب امتناعهما عن المشاركة فى الحرب، كما أن أوروبا فى حاجة إلى تأمين تعاملات مفتوحة مع مصادر الطاقة المتمركزة فى الشرق الأوسط .

وبينما يبقى هذا السؤال مفتوحاً، قابلاً للتحول مع المعطيات العالمية فى أى من الاتجاهين أو حتى بروز سبب آخر للاهتمام الأوروبى بالسلم والحوار مع المتوسطين الجنوبين والعرب والمسلمين، على المسلمين والعرب

عدم التوقف عند هذه المسألة انتظاراً لانتصار إحدى النظريتين بناء على ما يخبئة القدر. علينا كعرب طرح سؤال آخر، هو : ماذا يريد العرب من أوروبا؟ هل هذا الحوار القائم مأرب ومقصد فى حد ذاته أو أنه سبيل إلى مكاسب عملية أخرى؟ إن التكافؤ والرغبة الصادقة فى إقامة حوار من الشروط الأساسية لإقامة أى حوار. فإذا افترضنا توافر الشق الثانى، أى صدق المقصد ؛ فماذا عن التكافؤ؟ هل يمكن إقامة حوار بين طرفين غير متساويين فى القوة؟ كيف ندعم مواقفنا الاقتصادية والسياسية استيفاءً لأحد شروط الحوار؟ هل لنا أجندة اقتصادية تنموية وقوة ضغط سياسى لضمان استمرار الحوار وتكافؤه خدمة لمصالحنا؟ إن اختصار المسألة فى نقطة مراد أوروبا تضمن لنا دور المتابع للأحداث أو المشجع للمباراة، وبذلك نقصى أنفسنا بأنفسنا عن دور اللاعب فى مباراة السياسة الدولية، والتى تتشكل حياتنا طبقًا لنتائجها .

إن القائلين بنظرية اهتمام أوروبا بالعلاقات الأوسطية حماية لحدودها الجنوبية نسوا أو تناسوا أن الاقطار والدول لم تعد كيانات نقية، أحادية العرقية منغلقة على ذاتها داخل حدودها السياسية برغم وجود هذه الحدود ومحاولات بعض الدول إغلاقها بالفعل. فالقرنان السابقان وما حدث خلالهما من اختلاط الشعوب : من حركات هجرة وتهجير، ومن نزوح إلى المراكز الحضرية، قد خلف تبادلات سكانية. لقد ولّد الاستعمار الأوروبى للشرق الإسلامى تشابكات ديموجرافية هى واقع خريطة العالم السكانية الآن. فقد زادت الهجرة تجاه الشمال بالذات خلال القرن الماضى، والآن يشكل المسلمون النازحون إلى الغرب

قوة يمكن أن تكون مؤثرة، بل وقد بدأت تؤثر بالفعل. لقد ارتحل هؤلاء محمّلين بثقافاتهم ، وفى حالات كثيرة مازالت تربطهم بأوطانهم الأم روابط ثقافية أو دينية أو عائلية. كما شهدت السنوات الأخيرة خروجهم من التقوقع على هامش الثقافات والمجتمعات الأوروبية مطالبين بحقوقهم المدنية ؛ فأصبحوا قوة مؤثرة فى الغرب. وقد أصبحت هذه القوة ملموسة فى أوروبا بالذات. يذهب إدوارد سعيد - مثلاً - فى كتابه الأخير "الإنسانية والنقد الديمقراطى" إلى الجزم بأن من أهم أسباب إحجام فرنسا وألمانيا عن المشاركة فى الحرب ضد العراق وجود أعداد كبيرة من العرب والمسلمين فى هذه البلاد.

علينا كعرب ومسلمين - إن أردنا دعم مواقفنا - التواصل مع هذه الجاليات والتشاور معها ودعمها لتكون قوى ضاغطة من داخل مجتمعاتها خدمة لمصالحنا المشتركة. ومن ثم فإن هذا الكتاب يمثل إحدى محاولات بناء الجسور بين القراء بالعربية وأحد الألمان من أصل عربى من خلال عرضه لتجربته وتعرف قراء العربية عليها. ويزيد من أهمية هذه التجربة أنها تعرض لمشروع تجميع العرب والمسلمين فى ألمانيا وخلق قنوات شرعية لهم للحصول على حقوقهم المدنية فى بلد المهجر. إنه كتاب يرد ما درجنا على اختصاره فى صيغة مشكلة ثقافية فحسب إلى تشابك هذه المشكلة مع الشق السياسى لها. فمن الناحية السياسية يعد تشكيل حزب يطالب بالحقوق المدنية للجاليات المسلمة والعربية فى ألمانيا جهداً جاداً فى سبيل دعم موقف هذه الجاليات الاقتصادى والاجتماعى داخل المجتمع الألمانى، كما أن من شأنه فتح

قنوات لإيصال أصواتهم وخلق ثقل سياسى لهم. أما من الناحية الثقافية، فمن شأن وضع هذه الجاليات على الخريطة الاجتماعية الألمانية وظهورهم كقوة سياسية أن يعمل على كسر الحاجز الثقافى والنفسى بين الألمان المسلمين والألمان من ديانات ومعتقدات أخرى وخلق جو من التفاهم والقبول بينهم. إن ظهور هذه الجاليات كجزء لا يتجزأ من المجتمع الألمانى ولاعب مشارك فيه من شأنه هدم صورة العربى والمسلم كالآخر الغريب كل الغربة عن الذات الألمانية.

وكما يسعى جمال قارصلى إلى تذويب الحدود بين الأقلية المسلمة والعربية فى ألمانيا، يسعى أيضًا إلى تخطى الحدود الفاصلة بين العرب المسلمين فى المهجر وإخوانهم وأخواتهم فى العالمين العربى والإسلامى. وقضية الحدود بين الدول المتقدمة والدول النامية قضية شائكة تزداد تعقيداً بسبب تاريخها. فمن المعروف أنه منذ القرن التاسع عشر أقامت أوروبا واستوعبت خطوطًا سياسية ونفسية واجتماعية بينها وبين الدول التى كانت تتحكم فيها، وفى الكثير من الأحيان تحكمها. وهذه الخطوط الوهمية لم تظهر فقط على الخرائط السياسية، بل تأكدت أكثر على المستوى الاقتصادى، فأثرت على حركة التجارة من حيث سماحها بعبور المواد الخام من دول الجنوب لتصنيعه فى دول أوروبا الصناعية وإعادة توريده فى صورة منتج استهلاكى إلى ذلك الجنوب الذى تحول إلى أسواق مستهلكة للمنتجات الأوروبية، فى حين منعت هذه الحدود أى حركة مرور عكسية. فمشروع محمد على لإقامة دولة حديثة فى مصر، مثلاً، شمل إحداث نهضة صناعية جعلت من مصر دولة منافسة

لبريطانيا فى مجال تصنيع القطن والاتجار فى الأنسجة القطنية دوليًا. وقد أثار ذلك بريطانيا فكان هجومها الشديد على مشروع محمد على الذى قامت على تحجيمه ثم قتله من خلال الاتفاقات. وقد أدى هذا وغيره من التحكمات الحدودية إلى عبور الثروة فى اتجاه واحد وتركزها فى الغرب برغم مساهمة دول الجنوب بتوفير المواد الخام والاستهلاك. ومن ثم كانت الحدود، بوصفها مصفاة تسمح وتعوق المرور خلالها طبقًا لمصالح حارس البوابة الحدودية، عائقًا اقتصاديًا.

كذلك شكلت الحدود أيضًا عائقًا نفسيًا وثقافيًا. فقد لعبت هذه الحدود دوراً رئيسياً فى تعريف الغرب لذاته فتكتل حول صورة إيجابية متخيلة من خلال إسقاط كل ما لا يعجبه من صفاته على السكان خارج حدوده، فخلق الجنوبى كآخر يتصف بكل الصفات السلبية، ولكن مثل هذه القسمات الديالكتيكية لا تعمل أبداً فى معزل عن بعضها. فواكب تشييد هذه الحدود النفسية والثقافية رغبة فى تخطيها وصولاً للآخر، خدمة لتأكيد الذات وحماية لها من النوبان فى الآخر فى آنٍ، فكان إن مرت الخطابات والثقافات فى اتجاه واحد أيضًا ؛ حيث تغرس ثقافة فى منطقة غريبة ولا يسمح بمرور الأخرى فى الاتجاه العكسى.

وقصة الماضى لا تختلف كثيراً عن حكاية الحاضر، ففى الحاضر أيضاً نرى الرغبة فى الوصول أو التوصيل دون التواصل. فرغم ارتفاع الأصوات المنادية بتخطى الفكر الحدودى، أو المحدود، فإننا نجد الممارسات تشى بعكس ذلك. فمازال تبادل البضائع، ومن ثم المال،

محكوم بالكثير من الاتفاقات المجحفة. أما عن عبور الأفراد سواء كانوا زواراً أو مهاجرين، فحدث ولا حرج. فلا يخفى على أحد التشديدات الأمنية حول حدود أمريكا وأوروبا بدعوى أنهم مهددين من الإرهاب، والتى لا يوجد مثيلها على حدود الدول العربية والإسلامية.

وفى هذا السياق، يُعَد كتاب جمال قارصلى، ونقله إلى العربية محاولة جادة من أجل تخطى هذه الحدود وخلق تواصل بين العرب والمسلمين فى الداخل والخارج كحلقة فى سلسلة من التشابكات الرامية إلى التفاهم بين مجموعات مختلفة تسكن جميعها كرتنا الأرضية الواحدة. ويكتسب هذا النوع من التضامن الثقافى ونقل المعلومات والمعارف ، ومن ثم التعريف بالمواقف، أهمية أكبر عندما يمس الأمر القضية الفلسطينية بالذات بوصفها القضية الأكثر أهمية على الأجندة العربية وبسبب عولمة الضغوط الإسرائيلية. لقد تعالت فى الإعلام العربى فى الآونة الأخيرة أصوات تؤكد أنه قد تم تفكيك ولامركزة القضية الفلسطينية بعد ظهور المسألة العراقية. ولكن – خلافًا لهذا الرأى – تؤكد تجربة جمال قارصلى أن الصهيونية ما زالت العدو الأول للعرب والمسلمين رغم تعدد صور ممارساتها وتشعب مجالات انتشارها.

فهذه التجربة توضح أن الصهيونية قد تخطت حدود الدولة العبرية، ولكنها ما زالت العنصر الأساسى فى الضغط على العرب والضامن على الهيمنة عليهم وإقصائهم عن الفعل السياسى على الساحة العالمية. وهذا التوازى بين احتلال الأرض والهيمنة السياسية العالمية يستدعى نهجًا مقاومًا مزدوجًا أيضًا يعمل ، على المستوى الثقافى ، من خلال

تفعيل دور العرب والمسلمين فى الخارج من أجل التأكيد على إعادة نشر ثقافة العدالة والحقوق التى تعارفت عليها الإنسانية وارتضتها منذ قديم الزمن.

ومشروع قارصلى يركز - بصفة خاصة - على حماية حقوق المهاجرين المسلمين إلى ألمانيا، أو أولئك الذين نهجوا نهج الكاتب نفسه. ولا يقتصر المشروع على السماح لهم بعبور الحدود السياسية الفاصلة بين الدول فقط، وإنما يتعدى ذلك إلى إعادة توطينهم وتحويل المهاجرين منهم إلى مواطنين ألمان يتمتعون بكل حقوق المواطنة. فحزب "فاكت" (FACT) الذى أسسه ويرأسه جمال قارصلى قائم على مجموعة من المبادئ الإنسانية من أهمها نشر ثقافة السلام من خلال الحوارات بين الثقافات المختلفة للجاليات المقيمة فى المجتمع الألمانى، تعريفًا لهذه الثقافات ومقاومة لتعدى بعضها على البعض الآخر، كما ينادى الحزب بتوفير فرص العمل للجميع، وهو مطلب يهم الجاليات المهمشة على وجه الخصوص ؛ حيث ترتفع نسبة البطالة بينها ويتدنى مستوى دخل الفرد ليس بسبب محدودية قدراته، وإنما بسبب جذوره الثقافية وأصوله العرقية. ويدعو الحزب أيضًا إلى إتاحة فرص التعليم الحديث أمام الجميع بصرف النظر عن مستوى دخل الأسرة، وبالتالى فتح مجال التعليم أمام أبناء المهمشين ذوى الدخول المحدودة من أجل بناء جيل تالٍ أقدر على العمل والعطاء. كما يطالب الحزب بأن تكون الشفافية إحدى

ركائز العمل السياسى ضماناً لتنفيذ أجندته السياسية والاجتماعية والاقتصادية هذه. وفى مجمله، يعمل برنامج حزب فاكت على أن يتخطى العرب والمسلمون فى ألمانيا حدود "الجالية" وإتاحة الفرص أمامهم للاندماج فى المجتمع الألمانى فيكونوا أكثر تأثيراً فيه. وبرغم ما يعرضه الكتاب من صعوبة، بل وخطورة دمجهم هذا، فإنه أيضًا يكشف عن إمكانية تنفيذ هذا المشروع .

مقدمة المترجم

ولد النائب المهندس جمال قارصلى فى سوريا فى مدينة «منبج» ، المدينـة العريقة التى تعبق بشذى التاريخ والمعرفة، مسقط رأس «أبى فراس الحمدانى» و «البحترى» الغنيين عن التعريف والشاعر «عمر أبى ريشة» الذى عمل سفيراً لبلده سوريا فى بقاع عديدة من المعمورة . يُتقن النائب جمال قارصلى اللغات العربية والتركية إلى جانب الألمانية . درس هندسة التخطيط الحضرى فى جامعة دورتموند ، وحصل على درجة الماچستير من نفس الجامعة . عمل خلال دراسته وبعدها فى مجال الترجمة فى مكتبه الخاص للترجمة . النائب جمال قارصلى متزوج من إيطالية ، وهو أب لابنتين هما فاطمة وصوفيا ، وابن اسمه سامى . يروى بكثير من الاعتزاز عن حفاوة الاستقبال والكرم العربى الأصيل الذى يُقابل به كل مرة عند زيارته لمسقط رأسه ؛ لهذا السبب يلمس معارفه وأصدقاؤه تمسكه بقيم التضامن العائلى واعتزازه بها . بوصفه مهاجراً بهوية تحمل تعدداً فى الثقافات شعر النائب جمال قارصلى – منذ البداية – أن بإمكانه أن يُكوِّن جسراً للتواصل بين الثقافات والأديان

والجنسيات المختلفة . نتيجة لهذا الدور الذى ارتآه لنفسه وظَّف كل قدراته لفكرة المساواة بين المواطنين، من منطلق أنه لا وجود لمواطنين من الدرجة الأولى وآخرين من الدرجة الثانية أو الثالثة . دعا لفكرة التضامن بين المهاجرين فى ألمانيا، من أجل الوصول إلى تحقيق المساواة بين أفراد المجتمع بشكل عام . رفض فكرة تحريض المهاجرين ضد بعضهم بعضًا من خلال التفريق بين مهاجرين من دول الاتحاد الأوروبى ومهاجرين من أجل العمل وآخرين طالبين لحق اللجوء . الفكرة الأساسية التى يتبناها النائب جمال قارصلى تتلخص فى أن على المهاجرين أن يبادروا إلى العمل بشتى أشكاله ، سواء كان سياسيًا أو نقابيًا أو اجتماعيًا أو ثقافيًا، وذلك بشكل منظم، وأن يبتعد نشاطهم عن العفوية أو ردات الفعل الموسمية على ما يمكن أن تقرره السياسة الرسمية بخصوصهم . من أجل الوصول إلى هذه الدرجة من التفاعل الإيجابى والبناء والمبادر، لا بُدَّ من القضاء على الفروق القائمة بين المواطنين الألمان وغير الألمان فى هذا المجتمع . كل ذلك يتطلب إتاحة الفرص لأبناء المهاجرين من منطلق إيمانه أن مصطلح الشعب لا يجوز أن يبقى حكرًا على المواطنين من أصول ألمانية بحتة، بل يجب أن يضم كل المواطنين المقيمين فى هذا البلد . هذا الفهم الجديد لمصطلح شعب يتيح تحقيق المساواة بين المواطنين جميعًا، كما أن هناك ضرورةً ملحة لإلغاء كل قوانين التفرقة الحالية وإقرار قوانين أخرى لا تفرق بين المواطنين بغض النظر عن جنسياتهم وخلفياتهم الثقافية ؛ فهو يرفض معاملة طالبى حق اللجوء السياسى معاملة المجرمين فى حالة رفض طلباتهم المقدمة،

وإيداعهم السجون تمهيداً لإبعادهم كما هو الحال الآن . من المسلَّم به أن ألمانيا بلد للهجرة؛ لهذا يدعو أيضًا إلى إتاحة ثنائية الجنسية . وتحقيقًا لهذه الأهداف أصبح مبكرًا عضواً فى منظمة العفو الدولية «أمنيستى إنترناشونال» . رشح من قبل أعضاء حزب الخضر لتولى رئاسة بلدية مدينة «كاستروب راوكسل» فى ولاية شمال الراين ويستفاليا، ويروى بكثير من الدعابة والفكاهة ما توارد على ألسنة العامة آنذاك بعد ترشيحه لهذا المنصب : «ينقصنا استجلاب بعض الجمال حتى يسود هذه المدينة الطابع العربى» . انتخب نائبًا فى برلمان ولاية شمال الراين ويستفاليا منذ عام ١٩٩٥؛ حيث أعيد انتخابه لفترة برلمانية ثانية فى عام ٢٠٠٠ ولمدة خمس سنوات . فى عام ٢٠٠٢ كان النائب جمال قارصلى المتحدث السياسى باسم حزب الخضر فيما يتعلق «بسياسات الهجرة»، وعضواً فى لجنتى «الهجرة والشكاوى» . ويروى فى نبرة فيها بعض الحزن كيف أن رجلاً من جمهورية «توغو» تعرف عليه بالصدفة فى الشارع وحدثه قائلاً بعبارة أثارت فى شخصه مشاعر فياضة : «بفضل جهودك ما زلت على قيد الحياة»، تذكر النائب جمال قارصلى قضية هذا الرجل الذى كان قد حاول الانتحار فى السجن الذى أودع فيه تمهيداً لإبعاده إلى «توغو» ؛ حيث كان سيواجه الموت فى بلده لو حصل ذلك آنذاك . وقد كان عضواً فى «هيئة رئاسة البرلمان» حتى استقالته من حزب الخضر . الاختلافات الكبيرة بين النائب جمال قارصلى وحزبه آنذاك «حزب الخضر» فيما يتعلق بسياسات الشرق الأوسط والعملية السلمية قادته إلى الاستقالة من هذا الحزب . تلخصت

أسباب هذه الاستقالة فى عدم استنكار حزب الخضر للسياسات العدوانية الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى الأعزل من منطلق عدم التفريق بين المجازر التى ارتكبها الصرب فى حق البوسنيين مثلاً ؛ حيث تبنى الحزب مواقف واضحة تتناسب مع ضخامة وبربرية الجريمة، وضد تلك التى ارتُكِبت وتُرتَكب فى حق الشعب الفلسطينى . استنكر وجود ازدواجية فى المعايير السياسية والأخلاقية لهذا الحزب، تتناقض مع المفاهيم والمعايير الأخلاقية والضميرية . بعد فترة قصيرة من انتمائه لحزب الديموقراطيين الأحرار (FDP)، اضطُر النائب قارصلى للاستقالة نتيجة الحملة الضارية التى شنتها عليه وسائل الإعلام الألمانية لتجرؤه على القول بأن الجيش الإسرائيلى يستخدم طرقًا نازية فى معاقبة الشعب الفلسطينى، وقوله إن اللوبى الصهيونى يسيطر على وسائل الإعلام فى العالم، ويستطيع أن يركع أكبر شخصية تقف فى وجهه، بعدها ومنذ تاريخ ٢٠٠٢/٦/٥ بدأ فى ممارسة عمله النيابى كعضو مستقل فى البرلمان . فى الوقت نفسه واصل عمله عضواً استشارياً فى «اللجنة البرلمانية لشئون الهجرة» التابعة للبرلمان، متابعًا خدمة الأهداف التى يؤمن بها . من أهم النتائج التى توصل لها النائب جمال قارصلى أن حصول المهاجرين والمهاجرات على حقوقهم ليست منحة تُعطَى لهم ، بل هى نتيجة كفاحهم الشخصى من أجل الوصول إليها، وهو يدعو المهاجرين إلى أن ينشطوا من أجل الوصول إلى هذه الحقوق من خلال انتمائهم وتفاعلهم فى الروابط والهيئات الديموقراطية سواء كانت

موسسات نقابية أو حزبية ؛ فكلما زاد تفاعل المهاجرين وحضورهم فى هذه المؤسسات زادت حظوظهم فى الوصول إلى المساواة فى مجتمع ألمانى متعدد الثقافات . وبناءً على ذلك ، وانطلاقًا من هذا الفهم ، أعلن النائب جمال قارصلى فى تاريخ ٢٠٠٢/١٠/١٦ عن نيته تأسيس حزب سياسى ألمانى تحت اسم «فاكت» تحت شعار «حرية ، عمل ، ثقافة ، شفافية» تم تأسيس هذا الحزب فى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٢٩ ؛ حيث تم انتخابه رئيسًا له من قبل هيئة المؤتمر التأسيسى .

الإهداء

إلى كل المتطلعين إلى غدٍ أفضل، الباحثين عن فضاء أوسع للحرية والعدالة في عالم تحكمه قيمة الإنسان المجردة بغض النظر عن جنسه وثقافته ومعتقده .

ج . ن .

كلمة شكر

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأولئك الذين وقفوا إلى جانبى فى الأوقات الصعبة والعصيبة التى مررت بها خلال عملى السياسى ، خصوصًا فى أثناء الحملة الشرسة التى تعرضت لها من قبل أقطاب اللوبى الصهيونى وأعوانه . أخص بالذكر أسرتى التى عانت الكثير نتيجة حملة التضليل والكذب ومحاولة تشويه البعد الإنسانى السامى لمواقفى وتصريحاتى ، وعلى رأسهم زوجتى العزيزة «فرانكا» وأبنائى «فاطمة ، وصوفيا ، وسامى» .

كما أشكر الكاتب والمؤرخ ونشيط السلام الإسرائيلى «شراجا إلام» الذى يعيش فى سويسرا ، والذى وقف إلى جانبى من خلال صياغته لرسالة تضامن على شبكة الإنترنت من أجل حشد الدعم والتأييد لموقفى من اللوبى الصهيونى وسياسات الحكومة الإسرائيلية القمعية ، بالإضافة إلى الدكتور« هايو ماير » الناجى من المحرقة النازية ، والذى شارك مع «شراجا إلام» فى حملة التأييد وحشد الدعم من خلال الرسائل المفتوحة التى توجه بها إلى الإعلام ، ومن خلال الندوات التى تبين عنف وجبروت اللوبى الصهيونى فى قمع الآراء الحرة وشراء الذمم

وتكميم الأفواه دفاعًا عن سياسات حكومة إسرائيل التعسفية ضد الشعب الفلسطينى ، وفى السيطرة على وسائل الإعلام .

أوجه شكرى إلى كل الذين وقَّعوا على وثيقة التضامن معى ضد الهجمة التى تعرضت لها ، وعلى رأسهم : «إيلان بابه» و «أورى ديفز» ووزير المياه والغابات فى حكومة جنوب أفريقيا «رونى كاسريلز» وباقى الشخصيات التقدمية التى ساندتنى ووقفت إلى جانبى من خلال توقيعها على وثيقة التضامن .

كما أشكر الآلاف الذين وقفوا إلى جانبى من مختلف أنحاد العالم من خلال كتاباتهم ورسائلهم التضامنية فى أثناء الحملة القاسية ، الكثيرين الذين لم أتمكن من الرد على رسائلهم أو ذكر أسمائهم شخصيًا .

وأخيرًا وليس آخرًا أتقدم بالشكر الخاص إلى المهندس «نمر عاروری» على الجهد الرائع والخلاق الذى بذله فى نقل هذا العمل المتواضع إلى اللغة العربية ليكون وثيقة ضد أولئك الذين لا يريدون أن ترى الحقيقة النور .

جمال قارصلى

لماذا هذا الكتاب ؟

كانت أيام عام ٢٠٠١ حبلى بالأحداث الجسام : انتفاضة الأقصى على أشدها، الجيش الإسرائيلى يرتكب مذبحة فى مخيم اللاجئين الفلسطينيين «جنين»، الحرب فى أفغانستان وضعت أوزارها، التعتيم الإعلامى على مجريات هذه الحرب أخذ أبعاداً لم يعهدها العالم بعد الحرب العالمية الثانية . عام ٢٠٠٢ أطل علينا ولم يكن أحسن حالاً ؛ حيث كانت برودة الطقس الربيعى تطغى على كل ما يجلب الدفء إلى ردهات برلمان ولاية شمال الراين ويستفاليا . وبالرغم من سخونة الأوضاع العالمية والتسابق المرير لاحتلال عناوين الصحف الرئيسية وأعمدتها من قبل صانعى الأحداث أو ممن يكتبون عنها، لم يدر فى ذهنى أن كلمة حق يمكن أن تقود إلى كل هذه العواصف الهوجاء الساخنة .

عربى مسلم فى حزب ألمانى ليبرالى عريق، يا للهول !

اجتاحت هذه الصرخة أروقة دور الصحف وشبكات التلفزة كأن شيئًا مريعًا حدث لا يساويه إلا عودة «الرايخ الثالث» بتاريخه وزعاماته الدموية . وارتفعت الأصوات النشاز التى أتقنت – وببراعة قل مثيلها –

استغلال عواطف السنين الخالية وعقدها ، تلك السنون التى أغرقت ألمانيا فى بحر من الدماء، وجرت عليها وعلى العالم الويلات والخراب .

هذا الرجل يجلس ممثلاً عن حزب ألمانى ليبرالى فى البرلمان ، يا للكارثة !

لم تكن هذه الصرخات لتفاجئنى لولا الكم الهائل من النفاق والعداء المرير الذى رافقها، لكل من هو عربى أو مسلم، ولولا الحقيقة العارية التى بدأت تكشر عن أنيابها لتلتهم كل ما هو حق ومُسلَّم به . لم تشفع لى الصياغات الدستورية الجميلة التى تتحدث عن حرية الرأى وكرامة الإنسان، ولا تلك المثاليات التى تربت عليها أجيال وأجيال، وتغذت بها إلى حد كتابة الأشعار الجميلة . لم يخطر ببالى أن كلماتٍ صريحةً ستصنع طريقًا يقودنى إلى حقيقة الواقع الواهم والبحيرة العميقة الملوثة بالأكاذيب، والزاخرة بالنفاق والدجل والضمائر الصناعية المبرمجة كما يبرمج الحاسوب . لم أتصور أن هذا الحائط العظيم الذى تعيش خلفه هذه الأمة ويفصلها عن ماضيها الدموى القريب الذى أغرقت نفسها فيه، بهذه المنعة التى تصد أكثر الآراء إنسانية وشفافية من النفاذ . وتسقط كل الشعارات الجميلة، ولا يشفع لها ما هو خير وجميل وإنساني فى أفكار «جوته» و «شيلر» و «توماس مان» و «آنا زيجر» وغيرهم، ولا حتى أجمل ما كتبه وصرح به أديب ألمانيا الكبير الحائز حديثًا على جائزة نوبل للآداب «جونتر جراس» . هل أكون قد دققت جدار خزان «غسان كنفانى» الأديب الفلسطينى فى روايته «رجال تحت الشمس» فى أصقاع

أوروبا الباردة وليس فى الصحراء العربية القاحلة ؟ لن أبتعد كثيراً، ولن أستشهد فى هذا السياق بعظماء آخرين مثل الشاعر اليهودى النمساوى «اريخ فريد» الذى لن يشفع له أيضًا انتماؤه الثقافى أو الإثنى ولا عظمته الإنسانية التى تتجاوز كل الحدود .

لم تأت هذه الضجة من فراغ، بل سبقتها مقدمات ذات علاقة بموقفى السياسى وبتصريحات أدليت بها، وبيانات تتعلق بالحدث الشرق أوسطى وعلى وجه الدقة الممارسات الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، وبالذات مذبحة مخيم جنين التى قام بها الجيش الإسرائيلى على مرأى ومسمع من العالم، الذى لم يتدخل لمنعها . فى خضم هذه الأحداث الدامية قمت بإصدار بيان صحفى يحمل فى طياته وصفًا للممارسات الجيش الإسرائيلى ضد أبناء المخيم المنكوب تحت عنوان :

« الجيش الإسرائيلى يستخدم طرقًا نازية فى قمع انتفاضة المخيم» .

وفى تصريح صحفى آخر اشتكيت من السيطرة والتأثير اللذين يتمتع بهما اللوبى الصهيونى على وسائل الإعلام الألمانية . إثر ذلك تعرضت لحملة إعلامية هستيرية ومضللة بهدف القضاء علىَّ سياسيًا، وتزوير المنطلقات الإنسانية والواقعية التى بنيتُ عليها موقفى، من خلال تحميلها ما لا تحتمل وهو عدائى المزعوم للسامية ، تلك الشماعة التى تعلق عليها قوى اللوبى الصهيونى اليمينى فى تنفيذ ادعاءاتها ضد كل الآراء الحرة والناقدة للممارسات الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ،

من أجل قمعها وخنقها في مهدها قبل أن تجد طريقها إلى وسائل الإعلام ، وبهذا توظف نفسها - وبشكل مفضوح - أداة في يد السياسات الإسرائيلية العنصرية ضد أبناء الشعب الفلسطيني . صورة المخيم المدمر تثير الغضب والقشعريرة في النفس، وتطرح الأسئلة العديدة عن الفكرة والأيديولوجية التي تقف خلف هذا الدمار الذي أحدثته الآلة العسكرية «لواحة الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط» . بدأت هذه التساؤلات تتزايد عندما وقفت شخصيًا أمام مشاهد المخيم المدمر .

لم تقف الحملة المسعورة ضدي بعد استقالتي من حزب الخضر وانتمائي لحزب الديموقراطيين الأحرار **(FDP)** إلا عندما سحبت طلب انضمامي إلى هذا الحزب، لأجنبهم نتائج هذه الحملة المسعورة، وبالذات السياسيين من الأصدقاء الذين يشاركونني الرأي، والذين دفعوا ثمنًا باهظًا لمواقفهم، أقلُها السكوت وأفظعها القتل ، نظراً لعنف الهجمة التي تعرضوا لها، والتي حاولت إفراغهم من إنسانيتهم وفي بعض الحالات ابتزازهم وتهديدهم من قبل قوى ظلامية شعارها الأكيد «الهدف يبرر الوسيلة» .

أود من خلال هذا العمل المتواضع الذي أضعه بين يدي القارئ والسياسي العربي والمأخوذ بتصرف عن كتابي الصادر باللغة الألمانية في طبعة ثانية ومنقحة بعنوان : «لجام لألمانيا : حقائق، تحليلات، إيضاحات في موضوع العداء للسامية» أن ألقي الضوء - من خلال

تجربتى الشخصية – على بعض دقائق الأمور أثناء عملى، وصعوبات العمل السياسى فى ألمانيا خاصة وفى أوروبا عامة، أمام أولئك الذين يتبنون القضايا الإنسانية أو العالمية العادلة ويدافعون عنها ، وبالذات الذين هم من أصول عربية أو إسلامية ، ويتبنون مواقف مناهضة للصهيونية بطبيعة الحال . لن أحاول اللجوء إلى التحليل أو الاجتهاد كثيراً، بل سأضع الحقيقة أمام القارئ تاركًا له الاستنتاج واستخلاص العبر . يحدونى فى ذلك هدفان : سرد الوقائع كما حصلت معى ، وإيضاح الأبعاد الحقيقية لمواقفى السياسية، والتى تم تحريفها وتزويرها بشكل مغرض وبسوء نية متعمد لتضليل الرأى العام، منعًا لوصول الحقيقة الساطعة، والتى تفوح منها رائحة الكذب والتزوير ومحاولة التستر وتمرير السياسات العنصرية .

كسر غطاء «التحريم» الذى ما زال يسود العلاقة الألمانية – الإسرائيلية بعد ما يقارب من ٦٠ عاماً على حدوث « المحرقة النازية» أو ما سمى «بالهولوكوست» خدمة للحاضر والمستقبل ؛ حيث إن الخطورة تكمن فى منع التطرق لهذا الجانب الحساس من التاريخ الألمانى . قناعتى هى أن التحريم يمنع عملية التنوير، ويساهم فى زيادة العداء المبطن للسامية الذى أدينه لأنه يحمل مضموناً عنصرياً، مع التأكيد على الفصل بين العداء للسامية العنصرى المضمون وانتقاد السياسات الإسرائيلية التى لا يصح أن تكون فوق النقد أو القانون لخرقها لكل القوانين والشرائع الدولية .

البدايات : جسر بين الثقافات

قد يقول قائل بأننى أعيش مع نفسى صراعًا ثقافيًا ملازمًا لصفة الاغتراب، لكن قدر المغترب الذى غادر مهده أن يكوِّن جسرًا بين الثقافات، فإما أن يوصل كل ما هو جميل وقَيِّم وإما أن يكون ممرًا لكل ما هو غث وسيئ، لكن ما أحاول القيام به هو اجتهاد الخير فى اتجاه الثقافتين، وهنا تكمن الصعوبة وفن معاركة الحياة . ولا أدل على ذلك من قولى فى أحضان وطنى الأم سوريا : «عندنا فى ألمانيا ... كذا» وفى وطنى الجديد ألمانيا «عندنا فى سوريا .. كذا» . هذا التمزق الداخلى والتداخل فى المشاعر بين وطنين وثقافتين كان الطريق والمخاض الذى شكل طريقتى فى التفكير وفى ممارسة الحياة اليومية .

هذا القدر خلق لدى – ولدى الكثير من المهاجرين – القدرة على الموازنة بين الثقافتين، مما انعكس على الشخصية بحيث يؤخذ الجيد والجميل من كليهما . حقيقة أن تكون جسرًا بين هذين العالمين تحمل فى طياتها صعوبات وتناقضات كثيرة، يجب التغلب عليها حتى لا يصبح الإنسان مسخًا عديم الهوية والانتماء. الطريق الذى اخترته واجتهدته فى عملى السياسى كان واضحًا منذ البداية ، فقد نذرت نفسى للعمل على هدم الحواجز والأحكام المسبقة المبنية على عدم المعرفة والجهل بالآخر للوصول إلى هدف سام وبعيد، وهو التفاهم والصداقة بين الشعوب . ينير طريقى فى ذلك مدلول الحكمة الصينية القائلة «مسافة الألف ميل تبدأ بخطوة»، والقول المعروف «أن تضىء شمعة خيرٌ من أن تلعن الظلام»، واعتقادى الراسخ أنه قد يصبح من الكلمات طريق، نجتازه

على أساس الكثير من القيم المشتركة التى تجمعنا وهى أكثر من تلك التى تفرقنا . إن أكثر «الكليشهات» والأحكام المسبقة التى يواجهها الإنسان من أصل عربى هى موقع المرأة وحقوقها فى المجتمع الشرقى عامة والإسلامى خاصة ؛ حيث تختصر حضارة الشرق العريقة والجبارة فى هذه الجزئية على أهميتها وغيرها من القشور والمظاهر . على الجانب الآخر تبرز التساؤلات الكبيرة عن قيم المجتمع الغربى المادية التى تصل إلى حد اللاإنسانية فى التعامل مع كبار السن المتقاعدين مثلاً، من قبيل أنهم يودعون فى بيوت خاصة للعجزة بعد أن تنتهى قدرتهم على الإنتاج المادى . وفيما يتعلق بالمجتمع الألمانى يتساءل الكثيرون فى العالم العربى بشىء من التبسيط والسذاجة عن ماضى ألمانيا القريب وبالذات عن الحقبة النازية ؛ حيث يعتقد البعض أن المجتمع الألمانى مجتمع نازى معادى للسامية، وأنه لا يزال يُكِنُّ العداء لليهود . فى عام ١٩٨٤ انتميت لحزب الخضر الألمانى ؛ حيث توقعت فيه وطنًا سياسيا وقالبًا فكريا يلبى طموحاتى، ووجدت أن برنامجه السياسى يحمل الكثير من المعانى الإنسانية والتقدمية آنذاك . إيمان الحزب آنذاك بحق تقرير المصير للشعوب وحرية الإنسان وكرامته التى لا ترتبط بعرقه أو انتمائه الثقافى كان له سحر خاص فى عالم ومجتمع تغلب عليه صفة المحافظة والتوجه اليمينى . من أجل تلك الأهداف والمثل العليا عملت ١٨ عامًا تحت راية هذا الحزب وحملت لواءه، وكان لى بمثابة وطن سياسى وفكرى منيع . فى عام ١٩٩٥ رشحت نفسى ضمن قائمة هذا الحزب، وانتخبت عضواً فى برلمان ولاية شمال الراين ويستفاليا الألمانية أكبر الولايات من حيث عدد السكان (١٨ مليون نسمة)، وأصبحت المتحدث الرسمى فيما يخص

شئون المهاجرين عن هذه الكتلة البرلمانية وعضواً فى لجنة الشكاوى ؛ حيث ناضلت ضد التفرقة العنصرية ومن أجل حقوق الأقليات العرقية والثقافية والدينية ومساواتها بأفراد المجتمع الألمانى الآخرين، على أسس ديموقراطية وليبرالية . كانت خلفياتى الثقافية المتعددة المعين الذى أستقى منه فى تعاملى مع القضايا المطروحة للبحث والنقاش، متجاوزاً الحدود الثقافية والعرقية والدينية، منطلقًا من القناعات الراسخة لدى بأن المجتمع الألمانى يجب أن يكون مجتمعًا إنسانيًا يتجاوز ماضيه الدموى ولا يسمح ثانية بوجود تفاوت بين مواطنيه أو المقيمين بين ظهرانيه، بناءً على هويتهم العرقية أو الثقافية أو الدينية، ومن أجل هذه الأهداف نذرت نفسى وناضلت .

عربى المظهر ... مشتبه بالإرهاب !

بعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر أصبحت ضرورة النضال ضد التفرقة والتمييز العنصرى أكثر إلحاحًا وقدسية، للوقوف أمام تلك القوى المسعورة والظلامية التى تقود العالم نحو الصدام الحضارى . هذا الوهم يعشش فى أذهان المهووسين الذين أصبحوا يرون عدواً فى كل مَنْ هو عربى ومسلم، من أجل ضمان سيطرتهم على مجريات السياسة والاقتصاد العالميين . هذه السيطرة التى لا يمكن ضمانها من وجهة نظرهم إلا فى عالم يحكمه الاستقطاب والصراع الحضارى البغيض .

من النتائج التى ترتبت على تلك الهجمات، تعرض الأقليات العربية والمسلمة فى الغرب - بما فيها ألمانيا - لحملة مسعورة تنتقص من حقوقها الدستورية، بحجة مقاومة الإرهاب «القادم» . وبناءً عليه قامت أجهزة العديد من الدول - بما فيها ألمانيا - بحملات هستيرية ضد الأقليات المسلمة والعربية، تضمنت انتهاك حرمات أماكن العبادة والاعتداء على الحريات الفردية لهذه الأقليات فى جو من الاشتباه العام ساد هذه الأجهزة . وليس أدل على ذلك مما حصل معى شخصيا أثناء زيارتى لإيطاليا موطن أهل زوجتى :

فى مدينة صغيرة بالقرب من مدينة البندقية الإيطالية (فينيسيا) تتوقف عربات الشرطة المليئة بأفراد البوليس أمام البيت . يترجل منها رجال الشرطة المستنفرين ؛ حيث وقف أحدهم لحراسة الفناء الخلفى ، بينما يطرق شرطى آخر الباب . تفتح والدة زوجتى الباب متسائلة عن سبب هذه الزيارة الغريبة غير المتوقعة . يبادرها رجل البوليس بسؤال أكثر غرابة من الزيارة غير المتوقعة : هل يسكن لديكم رجل عربى ؟

تجيبه باستغراب هل تقصد صهرى ؟ صهرى مواطن ألمانى من أصل عربى ! وهو كذلك نائب فى برلمان ألمانى .

يبادرها رجل البوليس بالسؤال فيما إذا كان لديها ما يثبت أننى نائب ألمانى ؟ تجيبه حماتى باستهزاء : لم يخطر على بالى أن على زوج ابنتى أن يترك لدى ما يثبت عضويته فى برلمان ألمانى ! وتجيبه بغضب : سيعود مع ابنتى من التسوق عند الظهيرة إلى البيت . وبالفعل وجدتهم

ظهراً بانتظارى أمام الباب . وحال مشاهدتى رجال المباحث بنظاراتهم الشمسية السوداء لم أتفاعل خيراً .

بادرنى أحدهم بالسؤال إذا كنت أحمل رخصة طيران أو إذا كنت قد قمت بزيارة الولايات المتحدة الأمريكية فى الماضى القريب ؟ ترجمت لى زوجتى الأسئلة، وأجبت بالنفى على تلك الأسئلة . أبرزت له أوراقى الثبوتية التى تبرز هويتى وعضويتى فى البرلمان، وبعدها سألنى إذا كنت مستعداً لمرافقته إلى مركز البوليس . أخبرته أننى لست مستعداً للقيام بذلك طوعًا لأننى لا أجد مسوغًا أو سببًا لذلك، وزودته ببطاقة التعريف الخاصة بى، والتى تحمل عنوانى وأرقام هواتفى وموقع الإنترنت الخاص بى . بعد هذه الحادثة لاحظت أن هاتفى الخلوى مراقب من خلال الأصوات المتداخلة على الخط عندما يحصل اتصال بينى وبين موظفى مكتبى فى البرلمان فى ألمانيا، وذلك طوال فترة وجودى فى إيطاليا .

هذه الحادثة شكلت بالنسبة إلىَّ الضوء الأحمر الذى رافق عملى لاحقًا، وتصورت صعوبة الموقف بالنسبة لأولئك المهاجرين وخصوصاً بعض القطاعات المعينة منهم، مثل الطلبة الذين يدرسون تخصصات تقنية أو الذين قد لا يكونون على معرفة لغوية عالية أو غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم أمام حالة الاشتباه العام التى ترافقهم لمجرد أنهم عرب أو مسلمون . هذا الواقع كرَّس لدى القناعة بضرورة النضال من أجل المحافظة على المكتسبات التى حققتها الأقليات العرقية للوصول إلى حقوقها الدستورية وحق المعاملة على قدم المساواة مع باقى المواطنين بغض النظر عن الانتماء العرقى أو الدينى . السكوت على هذا الواقع

المستجد والشاذ يعنى أن سنوات من النضال للوصول إلى هذه الإنجازات الحضارية أصبحت فى خطر ؛ حيث بدأت بعض الرءوس اليمينية والعنصرية الحاقدة أو المأجورة تطل بوجوهها عبر وسائل الإعلام لا هم لها إلا التحريض وإشاعة حالة من الرعب والشك والخوف بين المواطنين، وبالذات من أولئك المواطنين المسلمين، الذين لا ذنب لهم إلا انتماؤهم الدينى أو العرقى . هذا الواقع المستجد حتَّم علىَّ التصدى لمظاهر الإرهاب الفكرى والنفسى التى وجد فيها قطاع من المجتمع نفسه معرضًا لها بين عشية وضحاها . نتيجة لذلك وجب الاحتجاج ورفع الصوت عاليًا للرد على هذه الحملة الهستيرية التى تهدف إلى تكميم الأفواه والحد من القدرة على التحرك ضمن الأطر الدستورية التى تتيح ذلك . المعضلة الحقيقية كانت – وما زالت – تتمثل فى عدم قدرة الأحزاب والأطر السياسية العاملة على الساحة السياسية الألمانية تمثيل هذه القطاعات المستهدفة عنصريًا من قبل الأجهزة الرسمية ؛ حيث لم يعد المهاجر يجد وطنًا سياسيًا فيها يحميه ويدافع عن طموحاته وحقوقه الدستورية المشروعة . السبب الحقيقى لذلك هو أن رموزًا مؤثرة ومتنفذة فى منظومة هذه الأحزاب أصبحت جزءًا من الحملة ضد هذه الأقليات، وتساهم علنًا فى حملة تكميم الأفواه أو تضرب مثالاً سيئًا من خلال سكوتها على الانتهاكات التى تمارس ضد هذه الأقليات فى أهون الأحوال أو تحرض علنًا وتساهم فى إشاعة أجواء الشك والاشتباه العام فى أسوأ الأحوال .

حقوق الإنسان بين فظائع الحرب والنفاق السياسى

العمل السياسى ليس عملاً مكتبياً أو تصريحات وبيانات صحفية تصدر إراحة للضمير، بل هو إحساس حقيقى بما يعيشه الناس من خلال جسّ نبض الشارع والتقاط همومه، هذا هو فهمى للعمل السياسى. من المعروف «أن من يُضرب بالعصى ليس كمن يعدها» هذه الحقيقة هى الخيط الذى يقودنى فى عملى السياسى، وانطلاقًا من هذه القناعات مارست العمل السياسى . هناك مثل ألمانى دارج يقول «اغسل لى فروتى ولكن لا تبللها» ، ومعنى ذلك أن مجتمع الرفاه الذى حققه هذا المجتمع لا يمكن أن ينعزل عن الأحداث العالمية، دون التأثر بها وخصوصًا فى الأقطار القريبة والمحيطة بألمانيا، وأخص بالذكر بلاد البلقان وتركيا. الحدث الشرق أوسطى وبالذات تفاعلات الصرا ع العربى الإسرائيلى، ترتبط عضوياً بالأمن الأوروبى وباستمرار دوران عجلة الاقتصاد . ولأن مجتمع الرفاه يتحمل مسئولية معينة تحتم عليه التضامن مع المجتمعات الأخرى الأقل حظًا فى الأمن والتقدم، فلا بُدَّ من المساعدة على تحقيق السلام والرخاء والأمن ودعم القوى الديموقراطية فى المجتمعات الأخرى . فى عام ١٩٩٨ قمت بزيارة إلى تركيا حيث كان هدف زيارتى التضامن مع رئيس الوزراء الحالى « رجب طيب إردوغان» رئيس بلدية إستانبول آنذاك، حيث التقيته وتحدثنا سوياً فى مؤتمر صحفى داعين إلى إسقاط التهمة الموجهة ضده والمثيرة للسخرية . اتهم « إردوغان» فى حينه بإلقاء قصيدة من الشعر لشاعر قديم، تحمل

مضمونًا دينيًا يمس أسس «الكمالية» ؛ أى مبادئ الدولة العلمانية التى رسخها «مصطفى كمال أتاتورك»، وحكم عليه بالسجن لمدة عشرة أشهر بسببها، ويبقى السؤال مطروحًا بعد وصول حزبه للحكم وتقلد «إردوغان» لمنصب رئيس الوزراء، هل أصبحت حقوق الإنسان وحريته أحسن حالاً؟ فى الوقت الذى تحاول فيه تركيا دخول الاتحاد الأوروبى تسمع الأصوات التى ترفض ذلك ، وهى تتراوح بين الرفض لاعتبارات حضارية تتعلق بإسلامية الدولة التركية أو بفشلها فى تحقيق الحد الأدنى من المعايير الأوروبية لحقوق الإنسان، والتى قد تؤهلها لدخول المفاوضات من أجل ترشيحها لهذه العضوية، وفى اعتقادى أن هناك الكثير من الإجراءات التى يجب على تركيا إحداثها لتحقيق الحد الأدنى من متطلبات الانضمام، أولها الفصل بين المؤسسة العسكرية التى تضع نفسها حارسًا ووصيًا على مبادئ «الكمالية» فى عالم متغير، مصادرة بذلك حق الشعب المباشر فى إقرار ما يراه مناسبًا من خلال صندوق الاقتراع .

من الزيارات التى قمت بها، والتى خلقت لدى انطباعات عن البؤس والقمع الذى يعيشه أحد الشعوب الأوروبية هى زيارتى التى قمت بها لـ «كوسوفو» ، على إثر هذه الزيارة شاركت فى أكثر من أربعين ندوة ومؤتمر تعالج هذه المشكلة . لم أتوقف آنذاك عن التحذير من الحرب القادمة، والتى كانت تطل برأسها فى ذلك الإقليم . كنت حينها قد حاولت المستحيل لاستصدار قرار يمنع إقلاع آخر طائرة تقل لاجئين من إقليم كوسوفو بهدف إبعادهم، لقناعتى أن ذلك بمثابة إطفاء النار بالبنزين

نظراً لليأس والعنف اللذين عانى منهما هذا الشعب . هؤلاء اللاجئون ينتظرهم البوليس الصربى عند وصولهم إلى بلدهم الذى عانى من القمع والهيمنة الصربية آنذاك . لم ترغب الحكومة الألمانية الاتحادية – المُشكَّلة من حزب الديموقراطيين الاجتماعيين (SPD) وحزب الخضر – فى أخذ هذا الواقع بعين الاعتبار . فى التقرير الذى أعددته بعد زيارة ثانية عن الوضع فى «كوسوفو» أظهرت الأرقام الدمار المذهل الذى خلفته الحرب فى هذا البلد . تفيد هذه الإحصائيات أن ١٢٠,٠٠٠ بيت قد دمرت، وأن هناك ٥٠,٠٠٠ إنسان سوف يقضون الشتاء القارص بدون مأوى، فى حين أن ٦٠٠,٠٠٠ لاجئ يتعايشون من المعونات التى تقدمها المنظمات الإنسانية . أما الجهاز الصحى فكان يعانى من الانهيار الكامل . فيما يتعلق بالبوسنة والهرسك كنت قد اعترضت قطعياً على إعادة اللاجئين البوسنيين الذين لجأوا إلى ألمانيا قبل أن تستقر الأوضاع فى بلادهم بعد اتفاق «دايتون» . وبالعمل الدءوب مع المنظمات الخيرية والناشطين فى مجال حقوق اللاجئين استطعنا أن نؤجل تسفير اللاجئين البوسنيين أكثر من سنتين . وعندما لم نستطع الحيلولة دون تسفيرهم عمدت إلى مرافقة طائرة من ألمانيا إلى سراييفو تقل لاجئين بوسنيين للتأكد من عدم تعرضهم للمضايقة والتحرشات عند عودتهم وللتأكد من وصولهم إلى بيوتهم والاضطلاع على الظروف التى تنتظرهم فى بلدهم . هذه الفظائع التى شاهدتها كانت نقطة فى بحر إذا ما قورنت بتلك التى يمارسها الجيش الروسى فى الشيشان، والتى لا تلقى الاهتمام الكافى فى الغرب ؛ حيث إن النفاق السياسى هو المهيمن . منظر مدينة

«جروزنى» التى تشبه مدينة الأشباح يثير الرعب . فى حملته الثانية لقمع المقاومة الشيشانية لم يتردد الجيش الروسى فى هدم المدينة المنكوبة على رءوس ساكنيها، وقياسًا على ذلك يستطيع أن يتصور المرء حجم الدمار الهائل الذى أحدثه هذا الجيش فى أجزاء هذه الجمهورية القوقازية الأخرى، وحجم الخسائر البشرية الناشئة عن ذلك . مناظر الدمار الحاصل تذكر بالحصار الذى قام به الجيش الألمانى لمدينة «ستالينجراد» التى دمرت عن بكرة أبيها أثناء الحرب العالمية الثانية أو بالدمار الذى أحدثه قصف الحلفاء فى مدينة برلين أثناء القصف الجوى العنيف الذى تعرضت له أثناء تلك الحرب . الدعاية الصادرة عن «الكرملين» لا تتوقف عن التحريض ضد شعب هذه الجمهورية الصغيرة من خلال وصمه بالإرهاب، ويبدو أن هذه الدعاية نجحت فى تحييد الرأى العام الغربى عامة والألمانى خاصة، وثنيه عن الاحتجاج ضد الممارسات القمعية الدموية للجيش الروسى . فى حين أن استعمال القوة العسكرية ضد الطاغية الحاكمة الصربية فى بلجراد بقيادة «رادوفان ميلوسوفيتش» نجحت فى وقف الكارثة فى إقليم «كوسوفو» ؛ حيث يقف الآن «ميلوسوفيتش» وثلة من المسئولين الصرب أمام محكمة العدل الدولية فى «لاهاى» . وبالرغم من معرفة الحكومات الغربية بممارسات الجيش الروسى الإجرامية ضد شعب الشيشان لا يتوقف فيض القروض والإعانات للحكومة الروسية، ولا يتم حتى التفكير فى تجميدها أو تجميد عضوية الاتحاد الروسى فى منظمة «التعاون والأمن الأوروبى» . النتيجة المترتبة على هذا التخاذل والنفاق وعدم الرغبة فى إغضاب العملاق

الروسى واضحة للعيان، وهى حرب العصابات المستمرة فى الشيشان، والتى تؤدى يوميًا إلى سقوط الضحايا من الطرفين، فى حين تستمر معاناة الشعب الشيشانى المنكوب. والحال فى العراق ليس أفضل ؛ فمشاهد الهياكل الإنسانية لأجساد الأطفال المنهكة من المرض والجوع تطل علينا بين الحين والآخر، وتسلبنا شعورنا الإنسانى . الموائد التى تفيض بما لذ وطاب من الطعام والشراب، تثير فينا الشعور بالاشمئزاز والنفور والشعور بالذنب وعدم الرغبة والقدرة على النظر فى عيون أطفالنا المنعمين، الذين يعيشون الطفولة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ جميلة، هذه الكلمة تصبح مشوهة عند النظر إلى الأجساد الطفولية المشوهة. الطفل الذى فقد معالمه الجسمانية الآدمية، يدفع الضريبة التى تفرضها الشركات العملاقة ومصالحها الحيوية، وتحكمها الحسابات الاقتصادية التى تقذف بها حواسيب الخبراء المتحجرى المعالم . يحكمهم الجشع الذى يترجم من خلال الأرقام الجامدة التى تحرك المشاعر الإنسانية الدنيئة، والتى لا تفهم إلا حركة مؤشر البورصة وموازين الربح والخسارة، فى عالم أصبح يحكمه رأس المال واحتكارات الشركات العملاقة، بالإضافة إلى الحسابات السياسية التى تثبت يوميًا خطأها . فى خضم هذه المعمعة يتساقط أطفال العراق الرضع كأوراق الخريف الصفراء، يحرمون من حقهم الإنسانى الأساسى فى الغذاء والدواء فى عالم ومنطقة متخمة بالثروات والمصادر الطبيعية . وبعد هذا كله، هل كان الثمن الذى دفعه ويدفعه ملايين الأطفال العراقيين والمدنيين مبررًا؟ هل ينتظرهم مستقبل واعد ينعمون فيه بالرخاء والديموقراطية؟

يستحيل تصديق ذلك فى عالم ملىء بالكذب والدهاء، والحسابات السياسية المريضة لتحقيق السلام والأمن الكاذبين . إن ما عاناه الشعب العراقى وما يعانيه هو عار على البشرية التى وقفت تتفرج على بربرية الحصار بحجة إسقاط النظام العراقى الذى أثبتت الوقائع هزله وفساده أصلاً، الذى استعمل كحصان طروادة من أجل السيطرة على مقدرات هذه المنطقة الإستراتيجية من العالم . الثمن الذى دفعه الشعب العراقى كان باهظًا وهو تدمير العراق ومستقبل أجياله التى يخلد جزء منها تحت الثرى (١,٥ مليون ماتوا بسبب الحصار حتى العام ٢٠٠١ حسب إحصاءات اليونيسيف) دون أن يعرف معنى الحياة أو الطفولة . فى شهر (يونيو) عام ٢٠٠١ تداعت الكثير من الفعاليات الطبية والإعلامية والسياسية لتنظيم رحلة إلى بغداد من أجل الاضطلاع على الأمور، والدعوة إلى فك الحصار الظالم عن الشعب العراقى . تم تنظيم هذه الرحلة من قبل جمعية الصداقة الألمانية العراقية . انضم إلى هذه الرحلة العديد من ممثلى منظمات إنسانية وأعضاء من أحزاب ألمانية من شتى ألوان الطيف السياسى، وشخصيات من الولايات المتحدة وايطاليا، وتونس، وتركيا، وسوريا، بالإضافة إلى شخصيات عراقية من المهجر . انضم إلى الوفد الطبى البروفيسور الألمانى المعروف «جوتشتين» عضو منظمة أطباء ضد الحرب النووية . نتائج هذه الرحلة أكدت ما توصلت له العديد من المنظمات الإنسانية عن الوضع السائد فى العراق نتيجة الحصار المفروض على هذا البلد منذ فترة طويلة، وخصوصاً فيما يتعلق بالمواد الدوائية والغذائية المتعلقة بالأطفال والمرضى المصابين بالسرطان،

والذى ارتفعت معدلاته بشكل فظيع نتيجة استعمال الذخائر التى تحتوى على اليورانيوم غير المخصب . هذه الذخائر لم يسلم من خطرها حتى قاذفيها ، جنود التحالف الذين شاركوا فى حرب الخليج الثانية آنذاك، والذين يصنفون ضمن المرضى المصابين ب «سندروم» أو مرض حرب الخليج .

فى تلك الأيام كثرت الأصوات النشاز التى اتهمتنى بعد اشتراكى فى هذه الرحلة بدعم آلة الدعاية للنظام العراقى فى خلط مجرم ومتعمد بين الفظائع التى تُمارس ضد الشعب العراقى الذى كان واقعًا بين المطرقة والسندان، وخصوصًا أطفاله . وأقولها صراحة وبأثر رجعى إن زيارتى لبغداد للاضطلاع على حجم الكارثة، كانت خطوة نيرة فى تاريخى السياسى . فليس من المعقول أن تتصدى الفعاليات السياسية المختلفة من كل ألوان الطيف السياسى العالمية للاحتجاج ضد الظلم الواقع والحصار المجرم ضد هذا الشعب المنكوب، لأجد نفسى فى حالة الدفاع عن هذه الخطوة، أمام من باعوا أنفسهم وضمائرهم بثمن رخيص، لقاء فتات على موائد الكبار فى خلط له أبعاد كارثية بين تأييد نظام صدام حسين والوقوف مع الشعب العراقى .

الحقيقة الثابتة هى أنه لو قامت الفعاليات والقوى العالمية المختلفة بواجبها آنذاك، لرفع الحصار عن الشعب العراقى لكان بالإمكان تجنب الكارثة ولو جزئيًا ؛ لأن النظام السابق استفاد من حقيقة استمرار الحصار ؛ حيث إن القوى الحية فى الشعب العراقى حرمت من التحرك

لإحداث تغيير لانشغالها فى التغلب على تبعات الحصار، وكفاحها من أجل توفير متطلبات العيش اليومى لأبنائها، وخصوصاً الطبقة الوسطى من المجتمع التى لم يبقَ أمامها إلا الوقوف فى الطوابير لصرف «كوبونات المواد الغذائية» التى تمنحها الحكومة للمواطنين . إن الوضع فى العراق يسير من سيئ إلى أسوأ، والسؤال الذى يطرح نفسه : هل استطاعت القوى التى جاءت فى ظل الاحتلال تحقيق الحد الأدنى من متطلبات العيش لقطاعات الشعب العراقى العريضة؟ وهل تملك السلطة المحلية المعينة القرار لإحداث التغيير الديموقراطى المنشود؟

لم يتوقف الأمر عند اتهامى بالتعاطف مع النظام العراقى السابق، بل وصل إلى حد اتهامى بدعم حكومة حركة طالبان فى أفغانستان لرفضى للتدخل العسكرى بحجة محاربة الإرهاب . إن حركة طالبان داست بالأقدام الحقوق المدنية للنساء التى تضمنها الشريعة الإسلامية السمحاء . ولم أتردد فى إصدار البيانات الصحفية آنذاك التى تدين التصرفات التى أقدمت عليها هذه الحكومة، ابتداءً من إغلاق المؤسسات أمام النساء وانتهاءً بتدمير الإرث التاريخى العالمى المتمثل فى تماثيل بوذا . المشكلة الحقيقية التى تكمن فى الغرب هى ربط هذه الممارسات بالإسلام مع العلم أن الغالبية الساحقة من المسلمين فى العالم استنكرت تلك الممارسات . لنتصور نظرياً أن الحكومات المختلفة فى العالم الإسلامى كالحكومة المصرية مثلاً قررت الإقدام على هدم الأهرامات والمعالم التاريخية الأخرى التئ سبقت الحقبة الإسلامية فكيف سيبدو

عليه الأمر؟ أمر لا يتصوره العقل السليم . لم يبرز النفاق السياسى بشكله المزرى أكثر مما برز فى أفغانستان ؛ حيث وقفت الحكومات الغربية فى فترات عديدة خلف حركة المجاهدين الأفغان لكسر شوكة الجيش الروسى فى ذلك البلد . من ضمن الحركات التى دعمتها هذه الحكومات آنذاك حركة «القاعدة» أيضًا طالما أنها خدمت الأهداف البعيدة لهذه الحكومات . فى تلك الفترة لم يكن موضوع التطرف أو حقوق الإنسان على مائدة البحث، مما أدى إلى تطور هذه الحركات وقاعدة مريديها فى الاتجاه الذى لا تتمناه هذه الحكومات، هذه الحركات أفادت من المظالم العديدة التى تعانى منها العديد من الشعوب الإسلامية ابتداءً بالشيشان وانتهاءً بفلسطين .

حزب الخضر : شتان بين النظرية والتطبيق

بعد دخول حزب الخضر الحياة السياسية من أوسع أبوابها مع حزب الديمقوقراطيين الاجتماعيين (SPD) وبعد الفوز فى الانتخابات، وتشكيل الحكومة بدأت حالة التغير التى تحكم حالة الأحزاب بعد أن تنتقل من صفوف المعارضة إلى سدة الحكم . التغير الذى طرأ على سياسة الحزب كان متسارعًا لدرجة أننى لم أعد أتمكن من التوفيق بين النظرية والمبادئ التى يتبناها هذا الحزب، وبين التطبيق على أرض الواقع . المسئولون الذين تبوأوا سدة الحكم بدأوا بتصنيف قيمة الحياة

البشرية وحق الإنسان فى الديموقراطية تبعًا للبلد الذى ينتمى إليه، حيث بدأت أشعر أن الحياة البشرية لقطاع معين من الناس يختلف عنه فى القيمة لقطاعات أخرى . بدأت التوجهات السياسية للطبقة السياسية الحاكمة فى هذا الحزب تخرج عن المبادئ التى قادت الحزب سنوات طويلة، وأصبح الملهم هو المصالح السياسية . منذ بدء هذا التطور بدأت أشعر بالتململ وبعدم تطابق الممارسات والمواقف السياسية لهذا الحزب مع المبادئ والمُثل التى قادتنى إلى الانتماء إليه .

هذه التطورات أدت إلى أن يكون خروجى من هذا الحزب بمثابة رصاصة الرحمة على هذا الشعور غير المريح . كان هذا الحزب رائداً وعظيمًا فى المثل التى تبناها وانطلق منها . بعد خروجى من صفوف هذا الحزب الذى ناضلت ضمن صفوفه لتحقيق المُثل العليا التى اقتنعت بها شعرت بالراحة وبصفاء الضمير . بدأت التساؤلات تثقل نفسيتى : هل هذا هو قدر الأحزاب التى تنتقل من صفوف المعارضة إلى سدة الحكم ؟ الإجابة هى النفى طالما بقيت هناك شخصيات قيادية تتسم بعظمة الضمير ، وتمثل القيم العظيمة الملهمة فى كل الأوضاع سواء فى صفوف المعارضة أو على سدة الحكم ، وهذا ما بدأت أفتقده. من هذه الشخصيات وزيرة الخارجية السويدية الراحلة «آنا لند» .

«يوشكا فيشر» التقدمى و«آنا لند» الضمير العملاق

تميزت وزيرة الخارجية السويدية الراحلة «آنا لند» بشجاعة أدبية نادرة تثير الإعجاب . لم تتخلَّ هذه المرأة قيد أنملة عن مواقفها المبدأية والشجاعة . اغتيلت أثناء تسوقها فى أحد المحال التجارية الكبيرة دون حراسة، ولم تكشف الدوافع الحقيقية خلف اغتيالها وإن كانت ترجح أنها الدوافع السياسية . يبدو أن الراحلة «آنا لند» دفعت ثمن انحيازها لمفاهيم العدالة والتسامح ورفضها لسياسات العولمة وجبروت المارد الأمريكى الذى أصبح يشكل القطب الأوحد . لم يجرؤ عشرات بل ومئات السياسيين على مستوى العالم أن يتصفوا بمثل شجاعتها وطريقتها الواضحة فى انتقاد السياسات الخاطئة والرعناء، ولم تتورع عن توجيه النقد القاسى لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية، واستعملت أقظع النعوت فى انتقاد القطب المغرور الأوحد ، واتهمته بفبركة الحرب ضد العراق من أجل البترول والمصالح الاقتصادية . لقد كانت «آنا لند» صديقة للشعب الفلسطينى، ودافعت عن حقوقه واستقلاله، ووقفت بصلابة مع القضايا العالمية العادلة . لم تتورع عن توجيه الانتقاد تلو الآخر لإسرائيل، ونددت بسياسات رئيس وزراتها «أرئيل شارون» وجرائمه والمجازر التى ارتكبها بحق الشعب الفلسطينى . بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر رفضت حملة التحريض ضد الأقلية العربية والمسلمة فى بلدها، وطالبت بالدفاع عنهم وحمايتهم ضد حالة الاشتباه العام السائدة .

موت «آنا لند» يعتبر خسارة لبلدها ولكل المحبين للسلام على المستوى العالمي، وكانت تستخدم في تصريحاتها التي كانت تستفز القوى الصهيونية وأعوانها لهجة صارمة في انتقادها اللاذع للممارسات العنصرية الإسرائيلية، ولم تخشَ أن يغضب منها القطب الأوحد بعلاقاته المتشعبة . مواقفها كانت متفوقة في هذا الشأن على مواقف الكثيرين من زملائها العرب، لم تتردد في إعلان رغبتها في مقاطعة البضائع الإسرائيلية عبر التلفاز في الوقت الذي تُباع فيه هذه البضائع أو تهرب إلى الأسواق العربية والإسلامية بالرغم من قرارات المقاطعة الرسمية .

كما حصل مع رئيس وزراء السويد الراحل «أولاف بالمه» الذي كان الآخر صديقًا كبيراً للشعب الفلسطيني لم تكشف الملابسات الحقيقية خلف اغتيال الوزيرة «آنا لند» بشكل نهائي . على الجانب الآخر تحضرني صورة «يوشكا فيشر» - وزير الخارجية الألماني - الذي لا تخلو سيرته الذاتية من علامات الاستفهام العديدة، والتي تتزايد نظراً لمواقفه المستجدة بعد تقلده حقيبة الخارجية الألمانية . فمن صورة الثائر المتمرد الذي دخل البرلمان الألماني بحذاء الرياضة وبنطال الجينز، إلى وزير الخارجية الذي يرتدي البدلة الرسمية مسافة شاسعة . يعتبر «يوشكا فيشر» من المؤسسين الأوائل لحزب الخضر ؛ حيث كانت بداياته ضمن التيار اليساري الذي حمل على عاتقه ما سمي بثورة العام ١٩٦٨ الطلابية، التي أحدثت تغييراً إيجابيا كبيراً في المجتمع الألماني المحافظ على كافة الأصعدة . أبرز ما يثقل تاريخ «يوشكا فيشر» من وجهة النظر الألمانية المحافظة هو اشتراكه في مشاجرة مع بوليس مكافحة الشغب ؛ حيث اتهم بالتنكيل بأحد رجال البوليس الألمان . تم فتح ملف القضية

التى تعتبر نقطة سوداء فى حياته السياسية، وبعد فترة وجيزة تم لملمة الموضوع على عجل وإغلاق الملف بقدرة قادر . الصورة الأخرى التى تميز السيرة الذاتية لهذا السياسى هو اشتراكه فى الجلسة الافتتاحية للمجلس الوطنى الفلسطينى كضيف شرف، والتى عقدت فى عام ١٩٦٩ فى الجزائر . وشتان ما بين مواقفه آنذاك حيث كان صديقًا لحركات التحرر فى العالم الثالث وعلى رأسها منظمة التحرير الفلسطينية وبين مواقفه الحالية التى لا تخلو من النفاق تجاه إسرائيل وسياساتها القمعية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة التى لا يتطرق لها تقريبًا إلا على استحياء، مساويًا بين الضحية والقاتل، متجاهلاً الحقائق التى يعرفها جيداً من موقعه كوزير للخارجية . فى الوقت الذى أصبح معروفًا أن إسرائيل تمتلك أسلحة الدمار الشامل ، وأنها القوة الوحيدة المتفوقة فى الشرق الأوسط، وتهدد جيرانها وتعربد فى المنطقة، لا تفوته فرصة للتأكيد على حرص ألمانيا على أمن إسرائيل غير المهدد أصلاً، والتى تحتل أراضى ثلاث دول عربية، وتخرق كل القوانين الدولية . ثبت ذلك بعد أن تأكد أن العراق لم يستحوز على أسلحة الدمار الشامل كباقى الدول العربية التى تخلو أيضًا منها، إلا أن هذه الأكذوبة التى تم ترويجها أدت إلى إعارة إسرائيل صواريخ «باتريوت» ألمانية الصنع لضمان تفوقها، بالرغم من أنها ليست مهددة إطلاقًا، ولم تكن طرفًا مهدداً أثناء الحملة العدوانية على العراق . قيام ألمانيا بذلك كان خرقًا فظا للموقف المعلن فى عدم رغبتها التدخل فى هذه الحرب المجنونة المنافية لأبسط قواعد القانون الدولى، كما أن الدستور الألمانى يمنع تزويد الأسلحة لدول تقع فى مناطق النزاعات، وإذا حدث ذلك فمن أجل

الدفـاع عن النفس، ولم يكن هذا هـو حـال الدولة العـبـرية التى تمارس العدوان حسب كل المعايير المتعـارف عليـها دوليًا . إن طلب إسـرائيل لصـواريخ «باتريوت» ألمانيـة قـديمة الطراز بالرغم من حـيـازتهـا لما هو أحدث منها يوضح، بما لا يقبل الشك، محاولة إسـرائيل التحريض وجر ألمانيـا إلى مـسـتنقـع الحـرب من البـاب الخلفى، لا سـيـمـا أن إسـرائيل وأمريكا تملكان أنظمة صـواريـخ من طراز «آروف» و «ناوتيلس» الحديثة جدًا بالمقـارنة مع تلك القـديمة التى تملكهـا ألمانيـا من طراز باتريوت . الذى حدث فعلاً أن ألمانيا لم تطالب باستعادة هذه الأنظمة الصاروخية التى يفـترض أنهـا مـعـارة بعـد انتـهـاء الحرب وزوال الخطر المزعوم بعد احتلال العراق من قبل التحالف الأنجلو - أمريكى، مما يعنى الرغبة فى ضمان تفوقها على جميع الدول العربية بالرغم من أنها المعتدية .

إن التـحـول الراديكالى فـى مـواقف وزير الخـارجـيـة «يوشـكـا فـيشـر» وانتقـاله من مـعسكر اليـسـار إلى مـعسكر اليمين يثـير الاسـتغراب . من المعلوم أن الرشـوة ليـست فـقـط بالمال بل من خـلال التكريمات والجـوائز الرمزية . والسـؤال الذى يطرح نفسـه هل يوجد علاقة بين انتقـال السيد «يوشكا فيشر» إلى المعسكر الآخر وبين فيض الجوائز والتكريمات التى حظى بها، بداية بالدكتوراه الفخرية الممنوحة له من جامعة حيفا وانتـهاءً بالميداليـة المسـمـاة باسـم «بوبر روزنتـسـفـيج»؟! ولا نسـتـغـرب أن يكون التكريم القـادم باسـم جـائزة الـسـلام الصـادرة عـن «أرئيل شـارون» ولا أسـتبـعد أن يبدأ «يوشكا فيشر» فى إطلاق اسم «رجل السلام» على رئيس وزراء إسـرائيل المُدان عـالميـا أسـوة بما فـعله الرئيس الأمـريكى «جورج بوش» عندما وصف «أرئيل شارون» برجل السلام .

يورجن موليمان الضحية

«يورجن موليمان» يعتبر ظاهرة سياسية نادرة على الساحة الألمانية . تميز هذا السياسى بالجرأة والشجاعة والقدرة على تسمية الأمور بأسمائها . تقلد العديد من المناصب السياسية كان أرفعها نائب المستشار ووزير الاقتصاد فى حكومة المستشار الألمانى السابق «هيلموت كول» ونائب رئيس حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) . توفى هذا السياسى فى حادث أثناء هبوطه بالمظلة لم تكشف ملابساته أبداً بعد حملة إعلامية هستيرية ضده دوافعها الأساسية كانت مواقفه السياسية المتعلقة بالشرق الأوسط .

برحيل «يورجن موليمان» نائب رئيس حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) الألمانى ورئيس جمعية الصداقة العربية الألمانية، فقدت الساحة الألمانية سياسيا كبيراً تميز بالصدق والجرأة الأدبية فى أصعب المواقف والظروف مدافعاً عن قناعاته ورؤيته السياسية والأخلاقية فى وجه تيار التضليل، ومحاولات الطمس الإعلامية والشخصية التى تعرض لها نتيجة لمواقفه الجريئة والواضحة ضد الظلم وتزوير الحقائق وشراء الذمم . وبهذا لا يختلف عن الراحلة «آنا لند» إلا فى قدره أن يكون ألمانياً . برحيله فقدت الجالية العربية فى ألمانيا خاصة صديقاً لم يتوانَ لحظة فى الدفاع عن القضايا العربية العادلة، فى وقت ندر فيه الناطقون بالحق وفى وقت تكالبت فيه وسائل الإعلام على التزوير وقلب الحقائق، وتشويه كل من تجرأ وانتقد، وعبر عن رأيه فى قضايا وأحداث واضحة وضوح الشمس . إن الحملة الإعلامية المسعورة ضد السياسى والإنسان

«يورجن موليمان» أدت إلى أن ينفض من حوله أقرب المقربين فى انتهازية ورخص قل أن يوجد لهما مثيل . إن مواقفه من القضايا العربية العادلة وعلى رأسها القضية الفلسطينية، وموقفه من إحلال سلام عادل بناءً على قرارات الأمم المتحدة، وبدون الالتفاف عليها كما يجرى الآن زاد من الحملة الموجهة ضده، والتى حاولت أن توصم الإنسان موليمان بالعداء للسامية . وبالرغم من الحساسية السياسية العالية للتعامل مع القضية الفلسطينية العادلة على الساحة الألمانية، نتيجة الإبادة التى مورست أثناء الحقبة النازية ضد الأقليات العرقية بمن فيهم اليهود، لم يمارس الراحل موليمان النفاق السياسى كما هو جارٍ الآن، وانتقد سياسة رئيس الوزراء الإسرائيلى «أرئيل شارون» ضد الشعب الفلسطينى الرازح تحت أطول احتلال بعد الحرب العالمية الثانية .

ونتيجة لذلك تم تهميشه والقضاء على مستقبله السياسى . وشخصيًا وانطلاقًا من تجربتى مع «يورجن موليمان» أثناء انضمامى لفترة وجيزة لحزبه حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) بعد استقالتى من حزب الخضر، احتجاجًا على المواقف المنافقة لهذا الحزب من الجرائم التى ارتكبت - ولا تزال - فى حق الشعب الفلسطينى فى مخيم جنين وباقى الأراضى المحتلة، لم أرَ فيه إلا إنسانًا ذا مبدأ وصاحب موقف ولا يخاف فى الحق لومة لائم . وقف مدافعًا عن حقى فى إبداء رأيى فى السياسات المنافية لكل الأعراف الدولية لحكومة رئيس وزراء إسرائيل «أرئيل شارون» ضد الشعب الفلسطينى الأعزل ومصادرة حقه فى الحياة والاستقلال . هذا السياسى الألمانى الكبير ورئيس جمعية الصداقة العربية الألمانية غاب بجسده، ولكنه لم يغب بمواقفه ورؤيته

السياسية المناصرة للحقوق العربية العادلة والقضايا الاجتماعية والسياسية المحلية على الساحة الألمانية . وشخصيا فقدت زميلاً وإنسانًا حرا ديموقراطيا حقيقيا . ومهما يكن الأمر فلن يبقى الراحل «يورجن موليمان» وحيداً ضمن أصدقاء الحقيقة والحق، بل سيجد الكثيرين ممن يسمون الأمور بأسمائها ويسيرون على نفس الطريق، والذين لن يبيعوا ضمائرهم ومواقفهم المبدأية من أجل منصب أو مكسب مريح . ففى تصريح للمتحدثة الرسمية باسم حزب الديموقراطيين الأحرار البريطانى الدكتورة «جينى تونج» المتخصصة فى علم النفس أمام شبكة التلفزيون المعروفة ب «سكاى نيوز» أكدت فيه تفهمها للدوافع التى تقف خلف العمليات الاستشهادية لو كانت فلسطينية وإن كانت شخصيًا تقف ضدها ؛ لأنها ترى أن المعضلة الأساسية هى وقوف العالم متفرجًا أمام الممارسات الإسرائيلية اللاإنسانية ضد هذا الشعب الرازح تحت الاحتلال . ولم ينتظر حزبها طويلاً ليعلن أن السيدة «تونج» تعبر عن رأيها الشخصى فى هذا الخصوص ، وقام بفصلها من موقعها كمتحدثة باسم الحزب لشئون الشباب . وبهذا فهى لا تختلف كثيراً عن نائب رئيس حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) الألمانى الراحل «يورجن موليمان» الذى صرح علنًا أمام صحيفة «تاتس» فى تاريخ ٤/٤/٢٠٠٢ عن تفهمه للمقاومة الفلسطينية ضد العدوان الإسرائيلى، والذى أكد بصفته مظليًا احتياطيًا فى الجيش الألمانى أنه لو كان فلسطينيا لحارب العدوان ليس فقط فى أرضه المحتلة بل لنقل الصراع إلى أرض العدو . كانت هذه العبارات هى العاصفة التى وضعته وجهًا لوجه مع اللوبى الصهيونى ممثلاً بالمجلس المركزى لليهود فى ألمانيا .

حزب الخضر ... الطلاق البائن :

بعد اشتراك حزب الخضر فى الحكومة بدأت أشعر بالتغير الذى طرأ على سياسة الحزب الداعمة للسلام العادل . كان حزب الخضر من الأحزاب القليلة على الساحة الألمانية التى تنتقد سياسة الاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية، وكان هذا الخط السياسى للحزب هو أحد الدوافع الأساسية التى قادت إلى اقتناعى به والانتماء إليه . فى الوقت الذى أيد فيه الحزب الدعوة إلى التدخل العسكرى بعد المجزرة الرهيبة التى حدثت فى مدينة «سيربرينتشا» البوسنية لا يرفع هذا الحزب صوته احتجاجًا عندما يتعلق الأمر بالممارسات الإسرائيلية الوحشية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة . اشتعال انتفاضة الأقصى فى شهر سبتمبر عام ٢٠٠١ جاء ردًا مباشرًا على الزيارة الاستفزازية التى قام بها «أرئيل شارون» للحرم الشريف فى القدس تحت حماية ٣٠٠٠ جندى وبموافقة من باراك رئيس الوزراء الإسرائيلى آنذاك . صور القمع الإسرائيلى التى تبثها شبكات التلفزة العالمية، تظهر الإذلال وعمليات القتل بالجملة التى يقوم بها الجيش الإسرائيلى ضد المدنيين الفلسطينيين المنتفضين ضده . الصورة الحية التى بثتها شبكات التلفزة العالمية لسقوط الطفل «محمد الدرة» كانت الأكثر وحشية . هذا الطفل يُغتال بين ذراعيى والده الذى يحاول الذود عنه بجسده الأعزل، بينما تخترق جسده الفض رصاصات الغدر الجبانة، التى أطلقت دون مبرر

ويهدف القتل عن عمد وعن سبق الإصرار . كم «محمد الدرة» قتلت أعيرة جنود الاحتلال دون أن تسجل ذلك كاميرات شبكات التلفزة؟ تلك اللحظات وما سبقها من أحداث لا تقل عنها مأساوية كانت تسكن نفسى وتخلق لدى العديد من التساؤلات عن مكانى فى هذا الحزب الذى يمارس النفاق جهاراً نهارًا، متخليًا عن أهدافه المعلنة فى دعم حق تقرير مصير الشعوب فى الاستقلال والحرية، والدفاع عن حقوق الإنسان . لم يعد بإمكانى التوفيق بين شعورى وقناعاتى الذاتية وبين تمثيل هذا الحزب والدفاع عن وجهات نظره فيما يتعلق بهذه الجزئية وغيرها . فى حينه بعد الانتخابات ودخولى البرلمان للمرة الثانية بدأت أدرك هذا التناقض ودونية هذا النفاق، الذى يحاول به الحزب التغطية على جرائم الاحتلال الإسرائيلى . الرسائل التى بعثت بها إلى «يوشكا فيشر» وزير الخارجية، والتى احتججت فيها على موقف الحزب المتواطئ مع الممارسات الإسرائيلية بقيت دون إجابة . لم يعد الأمر بالنسبة إلىَّ سهلاً، وعلاوة على التناقضات التى بدأت أشعر بها بين انتمائى لهذا الحزب وبين السخط الذى يملأ نفسى شخصيًا بسبب تلك المواقف، أصبحت أواجه الكثير من الانتقادات نتيجة بقائى فيه وبالذات من أصدقائى العرب ؛ حيث وصل الأمر إلى تجاهل دعوتى للحديث فى اللقاءات والمظاهرات الجماهيرية التى تُعقد وتُقام احتجاجًا على الممارسات الإسرائيلية . المجزرة التى قام بها الجيش الإسرائيلى فى مخيم جنين كانت الشعرة التى قصمت ظهر البعير . بدأت أنتقد

السياسات الإسرائيلية بغض النظر عن سياسات حزبى الرسمية والمتحفظة جداً إلى حد السكوت والتواطؤ أو النقد على استحياء دون تسمية الأمور بأسمائها، خوفًا من إغضاب أقطاب اللوبى الصهيونى .

فى أحد البيانات الصحفية لم أتردد فى مقارنة ممارسات الجيش الإسرائيلى ضد مخيم جنين بالممارسات التى قام بها الجيش النازى قبل الحرب العالمية الثانية وفى أثنائها . هذه المقارنة لم تكن جزافًا بل أكدتها أقوال بعض الجنرالات الإسرائيليين ؛ حيث أكدوا اطِّلاع الجيش الإسرائيلى على المخططات والتكتيكات التى قام بها الجيش الألمانى النازى أثناء الحرب العالمية الثانية للقضاء على انتفاضة «وارسو» التى قام بها اليهود البولونيون مع غيرهم ضد القمع الهتلرى . تم اعتقال الشباب الفلسطينى بالآلاف ووضعهم فى معسكرات الاعتقال والسجون وكتابة الأرقام على سواعدهم لتصنيفهم وللتحقق من هوياتهم بدلاً من استعمال أسمائهم . أحداث مخيم رفح فى قطاع غزة وهدم البيوت بالمئات وعمليات الاغتيال والقمع الجماعى تثبت بشكل قاطع الوجه البشع للاحتلال الإسرائيلى . هذه الحقائق لا تصل للرأى العام العالمى كما يجب ويتم التستر عليها ومنعها .

لهذا السبب أعلنت أن اللوبى الصهيونى يسيطر على وسائل الإعلام فى العالم، ويستطيع تركيب أكبر شخصية فى سابقة لم تعرفها الساحة السياسية الألمانية بهذا الوضوح . بعد ذلك قامت الدنيا ولم تقعد، وبدأ الحزب بممارسة الضغط علىَّ لضبط النفس والامتناع عن

تصريحات تحرج الحزب . كانت هذه بداية نهاية انتمائى لحزب الخضر، الذى بدأ بمطالبتى بالتخلى عن مقعدى البرلمانى . رفضت طلب التخلى عن مقعدى فى البرلمان الذى حصلت عليه بثقة الناخبين، وليس منحة من هذا الحزب أو غيره . استنكار الحزب لمواقفى لم يتوقف عند التصريحات التى انتقدت فيها حكومة إسرائيل، بل سبقتها انتقادات نتيجة مشاركتى فى الرحلة الاستطلاعية إلى بغداد تضامنًا مع الشعب العراقى المُحاصر، للاطلاع على الأوضاع الكارثية عن قرب . بدأت الشكوك تتأكد لدى أن هناك خطوطًا سياسية حمراء غير معلنة، ومتفقًا عليها ضمنيًا، ولا ينبغى تجاوزها من قبل أى سياسى ينتمى إلى هذا الحزب . هذه الحقيقة بدأت تضفى بظلال كثيفة على مدى مصداقية الحزب وديموقراطيته الحقيقية، عندما تتعلق المسألة بموقف يمليه الضمير تجاه أهداف ومواقف تتعلق بالشرق الأوسط . وجدت أنه من غير المعقول أن يتبنى بعض الخبراء والساسة والأدباء الإسرائيليين أو اليهود وغيرهم مواقف تعتبر أكثر مبدأية وإنسانية من شخصيات حزبية منتمية لحزب الخضر الذى يصنف ضمن الأحزاب التقدمية والديموقراطية ؛ ذلك الحزب الذى نذر نفسه من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان وحريته .

وصف تقرير لمنظمة العفو الدولية «أمنيستى إنترناشيونال» الجرائم التى قام بها الجيش الإسرائيلى ضد المدنيين الفلسطينيين فى مدينتى جنين ونابلس بجرائم حرب، وطالب فى هذا التقرير التحقيق فيها وبتقديم المسئولين عنها للعدالة . القارئ العارف والدارس للتاريخ الألمانى الحديث والحقبة النازية يلمس أن أقل ما يمكن قوله هو أن ممارسات

الجيش الإسرائيلى لا تقل عنفًا ودموية وعنصرية عن تلك التى مارسها هذا الجيش ضد الأقليات والمدنيين والمعارضين بمن فيهم اليهود الألمان والأوروبيين أنفسهم . فى مقال نشره «جدعون ليفى» أحد العاملين السابقين مع وزير خارجية إسرائيل فى حينه «شمعون بيرس» فى صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية اتهمه فيه بالمسئولية المباشرة من خلال موقعه كوزير خارجية فى حكومة «أرئيل شارون» عن الجرائم التى ارتكبت ضد الفلسطينيين فى مخيم جنين على وجه التحديد . وبالذات نظرًا لدوره فى منع لجان التحقيق الأممية من التحقيق فى جرائم الحرب تلك، ولم يعفه من المسئولية عن باقى الجرائم الأخرى، بدءًا بالضحايا الأطفال الذين لا يرون النور أو يفارقون الحياة على الحواجز العسكرية نتيجة منع الحوامل من الوصول إلى المستشفيات، وانتهاءً بعمليات الاغتيال وهدم البيوت . فى اجتماع ضم ١٧ منظمة يهودية فى العاصمة البلجيكية بروكسل فى شهر مارس /آذار عام ٢٠٠٣ أدان فيه هذا المؤتمر ممارسات الجيش الإسرائيلى الإجرامية، واشتكى من التعتيم الإعلامى الذى تمارسه وسائل الإعلام الأوروبية على تلك المنظمات اليهودية المعارضة التى ترفض الإملاءات التى تمارسها المنظمات الصهيونية المتنفذة على المنظمات اليهودية المعارضة للسياسات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة ؛ حيث تعانى الأخيرة من التعتيم الإعلامى على نشاطاتها .

وطالب المؤتمر بتنفيذ عقوبات ضد الدولة العبرية أسوة بباقى الدول المحتلة المارقة على القانون الدولى . لم يبق الأمر فى نطاق المنظمات، بل

تعداه منذ زمن بعيد إلى الأفراد، ويحضرنى فى هذا السياق أبيات من الشعر ليست للشاعر الفلسطينى المعروف «محمود درويش» كما قد يبدو للوهلة الأولى ، بل للشاعر اليهودى النمساوى «إريخ فريد» . يسجل هذا الشاعر الكبير لائحة اتهام ضد القتلة والمارقين والمتاجرين بالدم والآلام البشرية الذين يمتهنون كرامة الإنسان فى القرن الحادى والعشرين فى «واحة الديموقراطية» الوحيدة فى الشرق الأوسط حسب الأقوال التى لا يمل من تكرارها وزير الخارجية الألمانى «يوشكا فيشر»، الشخصية الأبرز فى حزب الخضر والأقرب للوبى الصهيونى .

تحت عنوان «موتاكم – من الفلسطينيين إلى الصهاينة» كتب الشاعر اليهودى النمساوى «إريخ فريد» :

مواتكم

موتاكم من الآباء والأمهات، من الأجداد

موتاكم من الإخوة والأخوات، الذين هم ورقتكم الرابحة

موتاكم الذين تذكرون العالم بهم

موتاكم الذين يدرون عليكم المال والتعويضات

لم يعودوا موتاكم

فقدتموهم، هم كانوا ضحايا القتلة، المستضعفين، الملاحقين

موتاكم هم المقاومون الذين لا حيلة لهم هم وأطفالهم

هؤلاء كانوا موتاكم

ولكنكم الآن أنتم أصبحتم قتلة وعباداً للسلطة

ترمون القنابل على ضحاياكم إذا دافعوا عن أنفسهم

تطردون المستضعفين من أكواخهم المتواضعة

تأتون مسرعين على ظهور دبابات الجنزير المقعقعة

طائراتكم تمطر السموم على حقولنا

وتقذفون نساءنا وأطفالنا بالنابالم

هل تعتقدون بأن موتاكم سيتذكرونكم ثانية وأنتم فى دباباتكم وطائراتكم الحربية؟

موتاكم انتقلوا إلينا ، وتوحدوا مع ضحايانا، ضحية مع ضحية، ملاحقون مع ملاحقين ؛ لأن المقتولين إخوان المقتولين وليس القتلة

موتاكم لا يودون التعرف عليكم ثانية

لا تحتجوا بموتاكم ثانية عندما تمارسون القتل تكراراً

لتسكتوا العالم ، هم ليسوا موتاكم بعد

الأفضل تصرفوا كما لو أنهم لم يكونوا موتاكم

لأنكم خنتموهم فى حياتهم ومماتهم عندما أصبحتم فى خدمة

النظام نفسه ، النظام الذى عذبهم وقتلهم
موتاكم هم ضيوف موتانا ، موتانا يواسونهم
بأنكم قد تفعلون ما تفعلونه
جهلاً وغباءً
لم يقل موتاكم إنكم ما زلتم أذكياء بل الأكثر ذكاءً فى العالم
هم لا يفهمونكم
وموتانا يودون مواساتهم قائلين :
القوة الأعظم هى التى أغرتكم وأعمت أبصاركم
ربما تتفتح أبصاركم وتعودون عن غيِّكم
أفضل من موتكم دون أن يتعرف عليكم موتاكم

لم يعد الأمر - بالنسبة إلىَّ - يحتمل السكوت إطلاقًا ، ولم يكن بد من الوداع الأخير ، وإن لم أكن قد فقدتُ القدرة على التطلع إلى نهار أفضل تنتصر فيه الحقيقة فى عالم لم تعد تحكمه الحقيقة باعتبارها معيارًا للحكم على الآخر ، ومحاسبة من يستحق الحساب . رفضت أن أسير ضمن تيار النفاق الذى لم يعد يجهد نفسه ليستر عوراته ، ويمارس النفاق والتضليل جهارًا نهارًا دون وازع من ضمير أو مبدأ . وبدأت أتساءل هل

يمكن أن يكون إغراء السلطة على هذه الدرجة من الجاذبية ؟ إغراء المنصب والمشاركة فى الحكم ؟! قد يكون العفن قديمًا ، ولكنه لا يمكن أن يصمد أمام الرياح العاتية ، هل يمكن أن تكون السياسية على هذه الدرجة من التعقيد ؟ وهل يحتاج الإنسان إلى كل هذا الوقت ليكتشف الخبث المستشرى ، وعندما يكتشفه المرء ، يطلب منه - إن رأى - أن يغمض عينه كى لا يرى ؟ يصعب الخلود إلى النوم وهذه التساؤلات تزدحم فى النفس دن أن ينهض الإنسان فى أحد الأيام ويده على الجرح الذى لابُدَّ من علاجه، وكان لا بُدَّ من العلاج والتغيير لتبحر النفس فى رحاب أخرى تزخر بالحرية، حرية الإنسان والرأى وحب الحقيقة، فى سماء لا تحكمها حدود إلا حدود المعقول وما يدركه العقل وتراه العين ويجمع عليه العقلاء .

خيبة الأمل هذه أكدتها تصريحات، ليست لزملائى من حزب الخضر فى ولاية شمال الراين ويستفاليا ، بل من وزير الخارجية الاتحادى «يوشكا فيشر» الذى حذر من قبول انضمامى لحزب الديموقراطيين الأحرار **(FDP)** عندما بدأت تظهر بوادر ذلك بقوله :

«قبول انضمام قارصلى إلى هذا الحزب يعنى انغماسه فى مستنقع العداء للسامية»، وبهذا يكون «يوشكا فيشر» قد انضم نهائيًا إلى قافلة المنافقين الذين يرون ويعلمون، وبالرغم من ذلك يغمضون العين ويتسترون . تحذيره هذا لم يكن إلا تكتيكًا حزبيًا وانتخابيًا، ورغب من خلاله فى وضع العوائق أمام العربة التى قد تحمل حزب الديموقراطيين الأحرار

(FDP) إلى سدة الحكم عن طريق كسب الأصوات العربية والإسلامية والأخرى الاحتجاجية التى تصوت تقليدياً لحزب الخضر .

وهكذا كان الانفصال مريراً مليئاً بخيبة الأمل، ولكنه كان ضرورياً ولا بُدَّ منه .

الديموقراطيون الأحرار فى أزمة

فى مدينة «ركلنج هاوزن» الهادئة جمعتنى محاضرة مع السياسى الألمانى الكبير «يورجن موليمان» نائب رئيس حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) . فى هذه المحاضرة تطرق «يورجن موليمان» لمشكلة الشرق الأوسط، وبدأ يتحدث عن المشكلات التى تعيق الوصول إلى حل سلمى وعادل لهذه المشكلة . لقائى به هذه المرة على هامش هذه المحاضرة اختلف عن سابقاته .

الشفافية والوضوح اللتان تحدث بهما عن هذه المشكلة أثارا إعجابى، وبالذات تلك العبارات التى يندر أن ينطق بها السياسيون الألمان من مختلف الأطياف السياسية الديموقراطية . فى تلك المحاضرة لم يحاول الرجل الالتفاف على الكلمات لتكون مطاطية دبلوماسية تحمل أكثر من معنى وأكثر من محتوى كما هى عادة السياسيين الألمان عندما يتعلق الأمر بالصراع العربى - الإسرائيلى . يكثر الحديث فى وسائل الإعلام الألمانية عن «الإرهاب العربى والفلسطينى» ويتم إساءة استعمال ذلك عن نية مبيتة وبهدف الإساءة لهذه المجموعة البشرية ووصمها

بالإرهاب بغرض واضح هو إفراغها من إنسانيتها ليصعب على الإنسان العادى الإصغاء لها وسماع حججها ومظالمها . فى تلك المحاضرة استعمل «يورجن موليمان» عبارة فى غاية الأهمية من حيث المحتوى والمعنى . كانت تلك العبارة هى «إرهاب الدولة» الذى تمارسه الدولة العبرية على مرأى ومسمع من العالم : سياسة هدم البيوت، الاغتيالات، السجن الإدارى دون توجيه تهمة، العقاب الجماعى والكثير من الممارسات التى تعتبر سمة عامة تميز الحكومات الشمولية والعنصرية . «المحرمات» التى تجاوزها هذا السياسى وبحق هى وصف حكومة الدولة العبرية بالنظام الذى يمارس إرهاب الدولة . المتابع غير العارف لحساسيات السياسة والتاريخ الألمانى لا يستطيع إدراك خطورة ذلك على الصورة التى تحاول إسرائيل رسمها لنفسها «كواحة للديموقراطية» محاصرة فى وسط من الدكتاتوريات والأنظمة الشمولية . ما اقترفه «يورجن موليمان» هو تلك المقارنة التى لا تفرق بين إسرائيل وبين الأنظمة اللاديموقراطية . المواطن الألمانى البسيط يربط ذلك فى وعيه الباطن بالحقبة النازية التى تحمل هذه المواصفات، فى الوقت الذى تحاول فيه وسائل الإعلام الرسمية وغيرها تسويق الدولة العبرية كدولة القانون فى الشرق الأوسط . ترغب الأوساط الصهيونية فى المحافظة على هذه الصورة بأى ثمن، سواء بالتعتيم، وإن لزم الأمر فمن خلال إجراء عمليات التجميل أو من خلال استدرار عواطف الجمهور بالحديث عن المعاناة التى تعرض لها يهود أوروبا أثناء الحقبة النازية ولا اعتراض على ذلك فى الأحوال العادية بهدف رفع حساسية الجمهور الألمانى ضد تلك الممارسات فى حينه، بهدف أخذ العبرة من التاريخ ومن أجل كبح

جماح التيارات اليمينية النازية التى تحاول تحريض الجمهور ضد الأجانب وإثارة مشاعر العداء للسامية . ما يتم حقيقة هو المتاجرة بمعاناة هؤلاء البشر والإساءة لذكراهم من أجل إسكات الأصوات التى تحاول فعلاً تعلم الدرس التاريخى، والتى لا تستطيع أن تلغى عقولها عند مشاهدة الممارسات الوحشية للجيش الإسرائيلى فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ضد المواطنين العزل، وبوسائل عديدة تم استعمال كثير منها ضد اليهود الأوروبيين أثناء الحرب العالمية الثانية . نتيجة استعمال هذه الوسائل التعسفية بدأت تنعكس عمليًا من خلال تبدل الوعى الأوروبى فى التعاطف مع المشكلة الفلسطينية . الدرس الذى تعلمته الأجيال الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية لا يُؤخذ فى عين الاعتبار من قبل الطبقة الحاكمة الإسرائيلية التى تقود جمهورها نحو التطرف والعنصرية من خلال إصرارها على احتلال الأرض الفلسطينية ومنع الشعب الفلسطينى من ممارسة حقوقه الشرعية . ما قاله «يورجن موليمان» بوعى كامل عن ممارسة إسرائيل لإرهاب الدولة، وعن حق المغتصب فى الدفاع عن نفسه يعتبر من المحرمات من وجهة النظر الصهيونية ؛ لأنه يُضفى طابعًا إنسانيا وشرعيا على كفاح الشعب الفلسطينى من أجل استرداد حقوقه المغتصبة وفى الدفاع عن حقه فى الحياة . الصورة النمطية التى يجب أن تبقى عالقة فى الذهن الألمانى والأوروبى عامة وبأى ثمن هى صورة العربى الإرهابى الذى يعادى السامية، ويقتل ويفجر نفسه لأنه يكره اليهود ويعادى الغرب «بالطبيعة»، وهذا تضليل وتزوير وقفز عن الحقائق . المعاناة اليومية والإذلال والقتل الذى يتعرض له الإنسان الفلسطينى يتم التطرق له على استحياء مقابل

التغطية الشاملة التى تتم للحدث إذا كانت الضحية إسرائيلية . الحقيقة الملموسة فى التفريق بين الضحايا فى القيمة الإنسانية هى العنصرية البغيضة التى يتم بها معالجة الحدث الشرق أوسطى فى وسائل الإعلام الألمانية، وهذا ما يشعر به الكثير من المواطنين وبالذات من أصول عربية أو إسلامية . هذه الحقائق مجتمعة أدركها «يورجن موليمان» والكثير من السياسيين . ما تميز به هذا الرجل عن غيره هو الشجاعة الأدبية والسياسية من أجل تحويل هذه الحقائق المقلوبة إلى وعى جماهيرى يترجم من خلال قوة سياسية على الساحة الألمانية دون المس إطلاقًا بقدسية الدرس التاريخى وعمقه الذى يجب على الشعب الألمانى أن يتعلمه من الماضى البغيض ؛ أى أنه اخترق المحرمات التى تكبل هذه الأمة ليصبح الموضوع بكامله معروضًا للنقاش الديموقراطى الحر الذى سيؤدى فى المحصلة إلى محاربة مشاعر العداء للسامية المبطنة، والتى يعود أحد أسبابها إلى وضع شريحة اجتماعية أو دولة بحد ذاتها فوق النقد فى المجتمع الديموقراطى المفتوح الذى يتساوى فيه المواطنون . ما يلمسه المواطن الألمانى البسيط هو أن هذا ممنوع ومحرم وهذا هو الواقع . ما يثير الانتباه هو رغبة الكثير من التجمعات والشخصيات اليهودية فى الوصول إلى هذا التغيير ليتم التعامل معها على قدم المساواة كباقى المواطنين وصولاً إلى القضاء على ظاهرة العداء المبطن للسامية وللأجانب . ما حصل كان على العكس تمامًا ؛ حيث تم اتهام السياسى «يورجن موليمان» بالعداء للسامية لتجرؤه على نقد رئيس وزراء إسرائيل «أرئيل شارون» علنًا وإقراره بحق الشعب الفلسطينى فى الدفاع عن نفسه ضد الاحتلال، وهذا من المسلمات فى السياسة الدولية

عند وقوع الاحتلال . الحالة الشاذة الوحيدة التى لا ينطبق عليها ذلك هى إسرائيل التى تمارس احتلالاً استيطانياً تفريغياً . تم اتهام الرجل باللعب على مشاعر العداء للسامية من أجل الحصول على الأصوات الانتخابية وخصوصاً من المواطنين الألمان من أصول عربية وإسلامية أو من الأوساط اليمينية . بالرغم من اختلافه الجذرى عن «يورك هايدر» النمساوى الذى حقق حزبه نصراً كبيراً من خلال رفع الشعارات المعادية للأجانب، تم اتهام «يورجن موليمان» بالسير على نفس الطريق، وفى هذا تجنٍ سافر على الحقيقة وتزوير فاضح لها يعرفه القاصى والدانى فى المجتمع الألمانى، ولكن القلة القليلة هى التى تجرؤ على الإقرار بها علناً فى مجتمع يفترض أنه مفتوح وديموقراطى .

اقتناعى الراسخ بذلك قادنى إلى الانضمام لحزب الديموقراطيين الأحرار ؛ حيث أعلنت فى مؤتمر صحفى جمعنى مع الراحل «يورجن موليمان» فى تاريخ ٢٠٠٢/٤/٢٤ عن انضمامى لهذا الحزب بعد أن صوّت فرع الحزب فى منطقتى الانتخابية مؤيداً هذا الانضمام وتلاه تصويت الكتلة البرلمانية للحزب فى برلمان الولاية بالإجماع على قبول انضمامى .

فى كتابه الذى نشره قبل وفاته بوقت قصير بعنوان «نص واضح لألمانيا» تعرض «يورجن موليمان» - الرجل الثانى فى حزب الديموقراطيين الأحرار - للتعقيدات التى يواجهها السياسيون الألمان عند اتخاذهم مواقف عادلة وشجاعة تجاه قضية الشرق الأوسط . روى فى كتابه عن المعاملة التى يتعرض لها هؤلاء السياسيون الذين يزورون إسرائيل إذا لم تكن مواقفهم على درجة معينة من الولاء . يقول «يورجن

موليمان» فى كتابه عن الزيارة التى قام بها «جيدو فيسترفيله» رئيس حزبه لإسرائيل فى الفصل المسمى «الابتزاز»، تلك الزيارة أجِّلَت مراراً حتى اتضح الموقف من «يورجن موليمان» نفسه، يقول فى كتابه :

جمال قارصلى عضو برلمان ولاية شمال الراين ويستفاليا، مواطن ألمانى من أصل سورى . هذه الحقيقة تعتبر للأسف غير مقبولة، بالضبط كما أننى من منطقة «مونستر» وجذورى من منطقة «أوجسبورج» . فى إحدى المحاضرات فى مدينة «ركلنج هاوزن» توجه لى السيد «قارصلى» قائلاً : إن نقدك لسياسات وزير الخارجية الألمانى «يوشكا فيشر» فيما يتعلق بسياسات الشرق الأوسط فى مكانه وأشاركك الرأى فيه .

ويتابع الكاتب :

أخبرت «جيدو فيسترفيله» رئيس الحزب بذلك، وتساءل بفضول إذا كان ذلك يعنى احتمال تحول «قارصلى» من حزب الخضر إلى حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) . إن هذا يعنى إمكانية فقدان حكومة الائتلاف المكون من حزبى الخضر والديموقراطيين الاجتماعيين للأغلبية الحاكمة قبل الانتخابات المقبلة فى عام ٢٠٠٥ كما يعنى إمكانية تشكيل ائتلاف حكومى جديد مشكل من حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) والحزب الديموقراطى المسيحى .

ويواصل «موليمان» فى كتابه :

لقد عرف «جيدو فيسترً فيله» أن تحول النائب «قارصلى» من حزب الخضر إلى حزبنا سيكون بدافع النقد الذى وجهته للسياسة الإسرائيلية وليس احتجاجًا على بناء نفق تحت منطقة «الرور»(*) فى حينه لم يكن لدينا علم عن مضمون تصريحات السيد «قارصلى» فيما يتعلق بالسياسة الإسرائيلية، وذلك على العكس من حزب الخضر والمنظمات اليهودية التى كانت على علم كامل بذلك، تلك التصريحات التى هوجم بسببها فيما بعد . لقد كان «جيدو فيستر فيله» مؤيدًا لانضمام «قارصلى» لحزبنا بغض النظر عن تبنى النائب «قارصلى» للأفكار الليبرالية أم لا . طالما بقى «قارصلى» عضواً فى حزب الخضر لم يكن هذا الحزب أو حزب الديموقراطيين الاجتماعيين (SPD) أو الصحافة الناقدة ولا حتى المنظمات اليهودية لتوجه له النقد بسبب تصريحاته الناقدة للسياسة الإسرائيلية . فقط منظمة يهودية أمريكية واحدة وجهت له رسالة احتجاج . ما عدا ذلك لم ينبس أحد ببنت شفة . والآن أصبح «قارصلى» عضواً فى كتلتنا البرلمانية . بعض أعضاء كتلتنا البرلمانية كانوا على معرفة به من

(*) تقع فى ولاية شمال الراين ويستفاليا محل اعتراض حزب الخضر . (المترجم)

خلال عملهم ضمن اللجنة البرلمانية لشئون الهجرة . ورأيهم «أنه يناسب كعضو فى كتلتنا البرلمانية وليس فى حزب الخضر» .

إلى هنا انتهى ما كتبه «يورجن موليمان» فى كتابه «نص واضح لألمانيا» بخصوص ظروف انضمامى لحزبه .

بعد انضمامى لكتلة الديموقراطيين الأحرار البرلمانية قامت الدينا ولم تقعد، وبدأت حملة التشهير ضدى، والتى كانت موجهة أيضًا ضد الراحل «يورجن موليمان» . وكما يروى فى كتابه، كان الأمين العام للحزب «جيدو فيسترفيله» متحمسًا لانضمامى، ووقف ضد كل الذين انتقدوا ذلك ، وعلى رأسهم رئيس المجلس المركزى لليهود «باول شبيجل» وغيره ، ولكن حصل هناك انقلاب فى موقف الأمين العام للحزب بعد زيارة قام بها لإسرائيل . وهنا يقول موليمان فى كتابه :

> حصل تغير بعد عودته من زيارة رسمية لإسرائيل، ليس فوراً ولكن بعد حين . قال لى «جيدو فيسترفيله» حانقًا ومنفعلاً مرات لا تحصى فى لهجة يشوبها الإشفاق على نفسه : سيد «موليمان» أنت لا تستطيع أن تتصور ماذا يطلبون منى، ولا يمكنك أن تصدق المعاملة التى عوملت بها . وتابع ووجهه يفيض بالعناد والغضب : سوف تتعجب من ذلك . كان وقع حديثه فى أذنى مثل الصفير الذى يطلقه الخائف فى الغابة ليتغلب على خوفه .

ويتابع «يورجن موليمان» فى كتابه :

إن رجلاً مجهولاً رافقه قبل لقائه ب «أرئيل شارون» رئيس الوزراء الإسرائيلى قد خاطبه بلهجة قاسية وبكلمات لا لبس فى مضمونها أن الحكومة الإسرائيلية تطالب برأسى سياسيًا . وعندما سأل «جيدو فيسترفيله» أحد مرافقيه العارفين ببواطن الأمور : من كان هذا الرجل ؟ أجابه المرافق : هذا الرجل من الموساد .

ويتابع فى كتابه :

كانت جماعة رئيس الوزراء الإسرائيلى تود التأكد من أننى لن أتقلد منصب وزير الخارجية فى حكومة محتملة تحت كل الظروف . ربما حاول «جيدو فيسترفيله» حقيقة مقاومة هذا الابتزاز فى البداية، ولكن من يعلم كم مرة تم تكرار هذا التهديد والتشديد عليه فى ألمانيا بعد عودته من زيارته لإسرائيل؟ وما المعلومات التى يملكها جهاز الموساد الإسرائيلى عن «جيدو فيسترفيله» ليعتريه كل هذا الخوف وهذه الرهبة؟ ليس ضروريًا أن يكون المرء رئيسًا لأحد هذه الأجهزة الاستخباراتية ليعلم الوحشية التى تستخدم فيها هذه الأجهزة معلوماتها عن الحياة الخاصة للأشخاص من أجل الوصول إلى أهدافها إذا دعت الضرورة . وفى كل مرة عندما يتحدث «جيدو

فيسترفيله» عن هذا الموضوع يعتريه الخوف . سألته بالطبع : بالله عليك بماذا يهددونك؟ وحتى هذه اللحظة لم أتلق إجابة على هذا السؤال، ولكننى أجد أن من حق حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) على رئيسهم أن يجيبهم عن ذلك .

بعد نشر «يورجن موليمان» لكتابه هذا، والذى أحدث ضجة كبيرة فى الدوائر السياسية والإعلامية الألمانية تعرض لحادث أثناء نزوله بالمظلة لم تكشف ملابساته حتى هذه اللحظة . لقد كان معروفًا على مستوى ألمانيا أن «يورجن موليمان» يعشق رياضة الهبوط بالمظلة، وكان يمارس هذه الرياضة باحتراف منذ سنوات بعيدة . وبذلك يبقى السؤال مطروحًا ما الظروف والملابسات التى قادت إلى انتهاء حياة هذا السياسى الكبير بهذه الطريقة المثيرة والمعروف بشجاعته وبأسه وقدرته على التحدى فى أصعب الأوقات؟ لقد كان هذا السياسى إنسانًا قبل أن يكون سياسيًا، وكان يمتلك بُعْدَ نظر ثاقبًا وقدرةً على لمس الحقائق بعيداً عن سياسة التزوير والتعتيم السائدة .

لن أكون قاتلاً للملك

فى مدينة «مانهيم» الألمانية انعقد المؤتمر العام لحزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) . فى صبيحة ذلك يوم ٢٠٠٢/٤/١٠ استقليت القطار متوجهًا إلى المؤتمر للمشاركة فى أعماله . بعد أربع

ساعات من السفر وقبل وصولى إلى المكان يدق هاتفى النقال ليتحدث على الجانب الآخر أحد أعضاء الحزب قائلاً : سيد «قارصلى» هناك جمع هائل من الصحفيين ووسائل الإعلام ينتظرون أمام قاعة المؤتمر، ومن الواضح أن الموضوع يتعلق بمشاركتك فى أعمال المؤتمر وهم ينتظرون قدومك .

نظراً لعلمى بالزوبعة الهائلة التى جرها انتمائى لحزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) من قبل الفعاليات الإعلامية وأقطاب اللوبى الصهيونى والمتعاونين معه بالإضافة إلى المنافسين السياسيين، قررت التراجع عن الظهور فى المؤتمر لأجنبه حملة الهجوم التى سوف تجرها عليه مشاركتى ؛ حيث سيكون وجودى أهم حدث فى هذا المؤتمر مما سيبعد المؤتمر عن الأهداف التى اجتمع من أجلها . انصب مجمل تفكيرى على «يورجن موليمان» الذى لم أرغب فى زيادة المتاعب التى يتعرض لها نتيجة مواقفه المعروفة من الحكومة الإسرائيلية بزعامة «أرئيل شارون» ووقوفه إلى جانب الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى دون مواربة بالإضافة إلى ترحيبه بانضمامى إلى حزبه .

ومهما يكن الأمر فقد كانت نتائج المؤتمر نصراً معقولاً بحد ذاته ؛ حيث قام هذا الحزب بإصدار بيان يدعو إلى قيام مبادرة أوروبية لحل المشكلة الفلسطينية استناداً إلى قرارات الأمم المتحدة فى حدث نادر الحصول . فى تلك الأيام كان الشأن الفلسطينى يتصدر الحدث الإعلامى والسياسى . وبالرغم من شعورى بعدم الرضى نتيجة حملة الضغط الضارية التى تعرضت لها للانسحاب من صفوف الحزب على أعلى المستويات، بداية بالقيادات التاريخية للحزب وعلى رأسهم «هانس

ديترش جينشر» وزير الخارجية الأسبق وانتهاءً بالمستشار الألمانى «جيرهارد شرودر» وغيرهم، شعرت بسعادة داخلية غامرة لسببين :

الأول أن تصبح معاناة الشعب الفلسطينى الحدث الأبرز الذى يتم التطرق إليه ومعالجته فى وسائل الإعلام .

والثانى إبراز سيطرة اللوبى الصهيونى على الفعل السياسى الألمانى المتعلق بالشرق الأوسط .

يعتبر هذا الإنجاز بغض النظر عن النتائج العملية له هائلاً ؛ حيث عمل على كسر الجليد والمحرمات التى ألجمت السياسة الألمانية سنوات طويلة، عندما يتعلق الأمر بمعاناة الشعب الفلسطينى الذى يرزح تحت أطول وأعنف احتلال عرفه العالم منذ الحرب العالمية الثانية . تنبع أهمية ذلك أيضًا من ثقل ألمانيا على الساحة الأوروبية والسمعة الحسنة التى تتمتع بها فى العالم العربى والإسلامى لعدم وجود تاريخ وإرث استعمارى لها فى المنطقة العربية والإسلامية، بالرغم من كل الصعوبات والإشكاليات التى تكتنف تاريخها الحديث وتكبلها بعد مرور ٦٠ عامًا على ذلك، مما يحد من مجال المناورة السياسية الحرة لها . الإشكالية الحقيقية تكمن أيضًا للأسف فى سهولة انجراف تيارات معينة فى المجتمع الألمانى إلى التطرف الذى يعبر عنه من خلال معاداة الأجانب، وتنامى المشاعر المعادية للسامية . تحت هذه الظروف يصعب على السياسى الألمانى التطرق إلى المواضيع الحساسة، وإن كان ذلك لا يعفيه إطلاقًا من توجيه النقد وممارسة حقه الديموقراطى فى التعبير عن رأيه أيضًا تجاه حكومة إسرائيل . هذا الواقع يقف عقبة أمام حركة

تنويرية حقيقية فى المجتمع توجهه إلى النقد البناء فى إطار إنسانى محض، بعيداً عن السقوط فى مستنقع العداء للأجانب والسلمية فى الوقت نفسه. وهنا يقع الأمر على عاتق القيادات السياسية والثقافية التى يجب أن تمتلك الشجاعة الأدبية لوضع النقاط على الحروف وانتقاد من يستحق النقد ضمن الأطر الشرعية والقانونية التى يتيحها الدستور وفى المحافل الدولية، على قاعدة مبدأية وإنسانية، بحيث لا تصبح عرضة للابتزاز نتيجة الماضى الذى يثقل تاريخ هذه الأمة . ما يحصل هو أن القاعدة الشعبية تدرك جبن الطبقة السياسية ونفاقها، مما يساعد على تنامى مشاعر العداء الدفينة والخطرة، والتى يمكن اجتثاثها من خلال تعلم الدرس التاريخى والتمتع بالثقة بالنفس التى يجب أن تقويها الطاقات الهائلة والنوعية التى تمتلكها هذه الأمة . قوى اللوبى الصهيونى – وعلى رأسها المجلس المركزى لليهود – تدرك حساسية الأمر ولا تتردد فى إملاء إرادتها، وهمها فى الدرجة الأولى حماية حكومة إسرائيل من النقد الذى قد تتعرض له ؛ أى أنها تضع نفسها أساساً فى خدمة المشروع الاحتلالى الإسرائيلى الذى يقمع الشعب الفلسطينى، ويحتل أرضه . ولا أدل على ذلك من تجرؤ «باول شبيجل» رئيس المجلس على وضع شروط للقبول بالحوار حول الإشكالية التى نشأت بين حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) العريق، وبين المجلس المركزى لليهود، وعلى رأسها فصلى من الحزب . يتساءل المرء علامَ يستند هذا الرجل ليملى إرادته على حزب عريق كحزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) ؟ وما مصادر القوة التى تقف وراء هذا الرجل ؟

نتيجة الحملة المسعورة التى أطلقت ضدى وجدت أنه من الضرورى حماية هذا الحزب من الانشقاق، وبالتالى التلاشى، والأهم من ذلك حماية تلك الشخصيات والأصوات القوية التى تسير بالاتجاه الصحيح، وعلى رأسهم «يورجن موليمان» نائب رئيس الحزب ورئيس جمعية الصداقة العربية الألمانية والصديق الوفى للقضايا العربية العادلة، الذى يتمتع بشجاعة أدبية وحكمة غير مألوفة على الساحة الألمانية . تقديم استقالتى قوبل بالرفض من قبله ومن قبل زملائى البرلمانيين فى الحزب، ولكننى أصررت عليها شارحًا وجهة نظرى ومنطلقاتى . وفى النهاية تم الموافقة عليها، وإن كان فى القلب مرارة وشعور بالظلم الواقع من قبل قوى متمكنة داخل الحزب ومن خارجه .

ولكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد، كنت ساذجًا عندما اعتقدت أن خطوتى هذه سوف توقف العاصفة .

الانهزامية التى تعاملت بها قيادات الحزب معى ومع زميلى «يورجن موليمان» قادت إلى خسارة الحزب فى الانتخابات العامة التى جرت فى شهر سبتمبر (أيلول) عام ٢٠٠٢ ؛ حيث لم يتمكن الحزب من الوصول إلى نسبة الأصوات التى وضعها نصب عينيه إستراتيجى الحزب «يورجن موليمان» . تم وضع اللوم عليه فى ذلك، واتهم بقبول انضمام أصوات «معادية للسامية» (فى الواقع معادية لسياسة حكومة شارون) ومحاولته صيد الأصوات الانتخابية اليمينية أو النازية . لم يكن الأمر كذلك إطلاقًا، ما حاوله هذا الرجل هو شرعى جدا، وقام أساسًا على حشد الأصوات الاحتجاجية ضد المناخ السياسى السائد على الساحة الألمانية المتميز بالجبن والنفاق، وبالذات تجاه قضايا حساسة مثل

القضية الفلسطينية التى تتحمل ألمانيا مسئولية جزئية مباشرة وغير مباشرة عن نشوئها، نتيجة اضطهاد يهود أوروبا ومحاولة إبادتهم، وهذا خدم المشروع الصهيونى فى المحصلة . الجانب الآخر والمهم جدا هو وجود ٣,٥ مليون مسلم يعيشون فى ألمانيا، ويشكلون ثقلاً انتخابيا هائلاً، تحاول معظم القوى السياسية الديموقراطية استقطابه وعلى رأسهم حزب الخضر وحزب الديموقراطيين الاجتماعى الحاكمين . فشل الحزب فى جنى الثمار التى خطط لها «يورجن موليمان» يكمن أيضًا فى الانهزامية أمام الهجمة الإعلامية الموجهة من قبل اللوبى الصهيونى، ومن قبل القوى السياسية المنافسة على الساحة السياسية . ما قام به «يورجن موليمان» وشاركته الرأى والعمل عليه لم يختلف عما قام به المستشار الألمانى «جيرهارد شرودر»، والذى كسب الانتخابات بوقوفه ضد الحرب المنافية للقانون الدولى، التى شنتها قوى التحالف الأنجلو - أمريكى ضد العراق وعوقب عليها «جيرهارد شرودر» بالإهمال والإهانة والتجريح من قبل أقطاب الحكومة الأمريكية ومن سار فى فلكها . المستشار الألمانى دافع عن وجهة نظره المدعومة شعبيا، والقائمة على أساس مبدأ عماده القانون الدولى الذى يحرم شن الحروب الاحترازية لمجرد الشك . ثبتت الأسس التى رفضت ألمانيا بناءً عليها الاشتراك فى الحرب، بالإضافة إلى زيف الحجج التى ساقتها قوى التحالف من قبيل امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل والرغبة فى تحرير الشعب العراقى وغيرها . بدأت قوى التحالف الأنجلو - أمريكى فى التراجع بعد الورطة التى قادت إليها شعوبها عن طريق التزوير فى خطب ود الدول الرافضة وزعمائها لمساعدتها فى الخروج من المستنقع العراقى .

الخلط المتعمد بين السامية والصهيونية

يعرف قاموس جامعة أكسفورد مصلح «سامى» كالتالى : «استعمل هذا المصطلح للمرة الأولى فى العام ١٨٧٥، ويوصف به الشخص الذى ينتمى إلى عرق تنتمى إليه الشعوب التى تتحدث إحدى اللغات السامية . ذكرت هذه الشعوب فى قصة الخلق فى الإصحاح العاشر من العهد القديم «التوراة»، وتعتبر من نسل سام بن نوح عليه السلام . ينتمى إلى هذه الشعوب العبرانيين والآراميين والعرب والآشوريين والكلدانيين» .

فى حين أن معجم «لانجر» لتاريخ العالم يشير إلى أن المصطلح «سامى» لا ينطبق على مجموعة من الشعوب، بل على اللغات السامية التى تتحدثها هذه الشعوب . وبناءً عليه لا يوجد شعب بقى على نقائه العرقى سواء كان آريا أو ساميا . ينقسم يهود العالم إلى قسمين : القسم الأول هم اليهود الشرقيون «السفاراديم» الساميون الذى جاءوا من الشرق المتوسط وشمال أفريقيا، واليهود الغربيين «الأشكيناز» الذين جاءوا من شرق أوروبا وخصوصًا روسيا وبولندا . يشكل اليهود الأشكيناز الغربيين ٨٠٪ من يهود العالم، وهم لا يعتبرون ساميين تبعًا للتعريف العلمى الوارد فى معجم «لانجر» يعنى هذا أن معظم يهود العالم ليسوا من أصول سامية، على العكس من العرب الذين يعتبرون ساميين . وعندما يصف «أرئيل شارون» – الأشكنازى الغربى الأصل – الفلسطينيين العرب بـ «الحشرات» فهو يعبر عن عداء للسامية، ولا تثير هذه الإهانة العنصرية من أعلى مستويات الهرم السياسى الإسرائيلى استنكار وسائل الإعلام . وبالتالى فإن هناك ضرورة لتوضيح مفهوم

العداء للسامية واستخدامه فى مكانه أو بمعناه الحقيقى أو تعديله ليصبح مصطلح «العداء للعرب» مثلاً . جذور العداء للسامية (لليهود) فى ألمانيا خاصة، وفى الغرب عامة، تختلف عنها فى باقى بقاع الأرض . الاختلاف الأساسى الملموس، عبر عن نفسه من خلال الشكل الذى تم فيه اضطهاد اليهود الأوروبيين مقابل حقب التعايش السلمى والمشترك بين المسلمين واليهود عبر التاريخ بعد إخراجهم من الجزيرة العربية . وهذه حقيقة مُسلَّم بها تاريخيا . ليس أدل على ذلك من الحقبة التاريخية المشتركة التى جمعت أتباع الديانات السماوية الثلاثة فى إسبانيا، والتى ميزها التعايش المشترك والحضارى الذى جمعهم، وساد آنذاك خلال ٨٠٠ عام من التواجد العربى الإسلامى فى إسبانيا . فى تلك الفترة لم يكن هناك ميثاق للأمم المتحدة ولا وثيقة لحقوق الإنسان بالشكل المعروف حالياً . مجموعة القيم والحقوق التى ضمنتها آنذاك الحضارة العربية الإسلامية تعتبر أكثر تقدمية وإنسانية من تلك الحالية، والتى لا نجدها إلا فى ملفات الأمم المتحدة وفى الوثائق المنمقة والمطبوعة بشكل جذاب، ويخرقها عملياً كبار موقعيها قبل صغارهم، قبل أن يجف حبرها أو وهى فى طور الصياغة . محاكم التفتيش الإسبانية التى سادت آنذاك بعد انتهاء العهد الإسلامى اضطهدت المسلمين واليهود على حد سواء ؛ حيث تم تنصيرهم قسراً أو تطهير البلاد منهم عرقيا .

أبعد الكثير منهم إلى بلاد المغرب العربى وتركيا، واستمر التعايش السلمى المشترك بينهم مئات السنين بعد تلك الحقبة الدامية من تاريخ إسبانيا . الحقيقة الثابتة أنه لم يتم اضطهاد اليهود فى العالم العربى

والإسلامى كمجموعة إثنية إذا جاز التعبير أو دينية . استمر التواجد اليهودى فى المدن والحواضر العربية والإسلامية حتى منتصف القرن العشرين دون أن يسجل التاريخ أحداثًا تذكر ضدهم بالمقارنة مع الأحداث التى جرت فى أوروبا فى القرن العشرين وقبله، بالرغم من وجود الأحكام المسبقة والسلبية لدى أتباع الديانات المختلفة كل عن الآخر فى المجتمعات العربية والإسلامية . كان اليهود جزءًا أساسيا من الصورة النمطية للحواضر العربية الكبرى حيث تركز وجودهم . نشوء الحركة الصهيونية وبداية مشروعها الاستعمارى فى فلسطين كان بداية نهاية هذا التعايش المشترك . بثت قناة «آرتى» الثقافية الأوروبية التى تبث باللغتين الألمانية والفرنسية فى برنامج مطول عن يهود العراق يتطرق لكُتَّاب عراقيين يهود من الذين هجرتهم الحركة الصهيونية ويعيشون فى إسرائيل . فى هذا البرنامج أكد الكاتب العراقى اليهودى التقدمى «سمير نقاش» – لم يغير اسمه العربى – الذى يعيش فى إسرائيل، مع زملاء له آخرين، حقائق كثيرة . من ضمن هذه الحقائق التفرقة العنصرية التى عانى منها من يسمون « اليهود العرب» بعد وصولهم إلى فلسطين من قبل اليهود الغربيين الأشكيناز . فى حديثه أكد أنه تم اقتلاعهم قسراً من جذورهم التى تعود لآلاف السنين فى أرض الرافدين ليصبحوا لاجئين بإرادة الحركة الصهيونية وتآمرها وممارستها الإرهاب ضدهم، من خلال تفجير الكُنس، وتخويفهم من مواطنيهم العرب والمسلمين، وتواطؤ الكثير من الحكومات العربية آنذاك . فبعد أن كانوا جزءًا من الحركة السياسية والثقافية فى بلادهم الأصلية وجزءًا من الطبقة الأرستقراطية غالبًا، أصبحوا بين ليلة وضحاها لاجئين عالة على

الوكالة اليهودية التى اقتلعتهم من جذورهم . لم يغفل نفس البرنامج لفتة الأديب المصرى المعروف والحاصل على جائزة نوبل للآداب «نجيب محفوظ» الذى كرم هذا الكاتب باعتباره أحد الكُتَّاب العرب اليهود الذين كتبوا بالعربية بوصفها اللغة الأم، ولم يكتبوا ما يذكر بغيرها، ولاءً لهويته الثقافية الأصلية . الأحكام المسبقة عن اليهود فى الشرق الإسلامى تختلف عنها فى الغرب وفى ألمانيا بالذات . ونفس هذه الأحكام المسبقة تجدها أيضًا لدى المسيحيين واليهود عن مواطنيهم المسلمين وبالعكس . الفرق الجوهرى أن هذه الأحكام المسبقة لم تصبح أداة أو غطاءً لممارسة التصفية الجسدية أو التطهير العرقى ضد الآخر، مع التذكير ببعض الأحداث السلبية المنفردة . الأهم من ذلك أنها لم تفرغ الآخر من إنسانيته وحقه الأساسى فى الحياة والعيش والكسب وممارسة حقوقه المدنية حسب قناعاته الدينية كمواطن . ما حصل فى الغرب وفى ألمانيا خاصة فى مطلع القرن العشرين هو عملية منظمة تقوم عليها أجهزة حكومية لإفراغ اليهود من إنسانيتهم، واحتقارهم واعتبارهم جنسًا يتميز بالدونية، وبالتالى تبرير إخراجهم من التجمعات المدنية تمهيدًا لإبادتهم ثقافيًا وجسديًا، أى امتهان كرامتهم الإنسانية . هذا الشكل من الاضطهاد بعينه لم يعرفه الشرق العربى والإسلامى تحت أصعب الظروف التاريخية ومن ضمنها الظرف الحالى القائم، ظرف اضطهاد وقمع الشعب الفلسطينى والعدوان والاحتلال ضد دول عربية أخرى، وحالة الدفاع عن النفس المفروضة على إنسان هذه المنطقة . قد لا تختلف الصورة النمطية (الحكم المسبق) عن الإنسان اليهودى جذريًا فى الشرق أو الغرب ؛ حيث إن جذور هذه الصور تكمن فى

الديانات سواء المسيحية أو الإسلامية . الفرق يكمن فى الأسباب والإجراءات القانونية التى قادت إلى تكريس هذه الصورة النمطية التى لا تنعكس بالضرورة سلباً على القيمة الإنسانية للإنسان «كيهودى» أمام القانون ومنظومة الأحكام المعمول بها فى المجتمع عندما يتحقق مضمون القول الشعبى السائد فى بلاد الشام : «كلام السرايا يختلف عن كلام القرايا» . فالمعروف أن الكنيسة المسيحية فى العصور الوسطى حرمت التعامل بالربى، الشكل الحالى لمعظم البنوك والتعاملات البنكية على المستوى الوطنى والعالمى . الكنيسة المسيحية فى أوروبا كانت تحرم على أتباعها التعامل به . فى العصور الوسطى سمح لليهود فقط بالتعامل المالى على أساس الربى فى حين حرموا من ممارسة العديد من الحرف والوظائف التى كانت حكراً على المواطنين الآخرين . هذه الإجراءات أدت إلى تكدس الثروات لديهم مما مكنهم من الوصول إلى درجة عالية من الثراء والتعليم والرفاه، بحيث أصبحوا محل حسد مواطنيهم الآخرين نتيجة لهذه النجاحات التى تراكمت عبر السنين، وعبرت عن نفسها من خلال القدرة على التأثير فى القرار السياسى والاقتصادى للبلاد التى يعيشون فيها . فى المشرق العربى والإسلامى منع كل المواطنين من أتباع الديانات المختلفة من ممارسة الربى بحكم النص الشرعى، وإن ممارسه البعض بمن فيهم يهود فهم يخرقون القانون آنذاك ومنظومة القيم السائدة التى تحرم التعامل به عامة، بغض النظر عن الديانة التى ينتمى إليها الفرد . لم يكن هناك أى تشريع أو قانون يحرم ممارسة المهن والوظائف المختلفة يربط بين المواطن وديانته فى منظومة القيم العربية والإسلامية، وبالذات فى الدساتير الحديثة التى

صيغت بعد الاستقلال، ما عدا تلك المتعلقة برئاسة الدولة وبالوظائف ذات الطبيعة الدينية . الانتماء العرقى مقنن، ولكنه ينطلق من التعريف الحديث للعروبة كثقافة ولغة وتاريخ وجغرافيا وليس كعرق أو جنس أو عنصر . فى الحالة الألمانية النازية كان الأمر مختلفاً .

قادت مجمل التراكمات التاريخية إلى اعتبار اليهود «جنساً دونياً ومتآمراً» يجب اجتثاثه وتطهير المجتمع الألمانى «الآرى» منه من أجل الوصول إلى النقاء العرقى . قامت النظرية النازية أساساً على ضرورة المحافظة على النقاء العرقى بالمعنى البيولوجى للأمة الألمانية «المتفوقة» على باقى العناصر وعلى رأسهم اليهود الذين كانوا يشكلون حضوراً كبيراً فى المدن الكبرى، كرجال أعمال ومال وأطباء مهرة ومحامين كبار وأدباء وموسيقيين ... إلخ . هذا الشكل البغيض من العنصرية لا يعرفه الشرق العربى والإسلامى، ولا يدخل ضمن منظومة القيم المتعارف عليها لدى أتباع الديانات والإثنيات والثقافات المختلفة . الأساس العنصرى للنظرية النازية لم يستثن أمماً أخرى بمن فيهم العرب الذين اعتبروا جنساً ذا مرتبة متدنية، على غير الاعتقاد السائد فى العالم العربى . الإرث التاريخى الثقيل الذى خلفه الاضطهاد النازى لليهود وغيرهم يضرب بجذوره عميقاً فى المجتمع الألمانى بالرغم من مرور أكثر من ستين عاماً عليه، بالرغم من التعويضات والتطبيع الذى حدث مع الدولة العبرية . طبيعة العلاقة الألمانية مع اليهود حالياً تحكمها عقدة الفعل النازى آنذاك، والتى تضرب بجذورها عميقاً فى عقلية المواطن العادى، والمثقف الألمانى وصانع القرار السياسى . ينعكس ذلك فى أجلى صوره فى حالة الخوف والحذر الشديدين اللذين يميزان النقاش حول

الممارسات الإسرائيلية القمعية ضد الشعب الفلسطينى . تداول هذا الموضوع يتم فقط فى دوائر محددة جداً . لا يجرؤ أحد من المواطنين العاديين أو حتى من الطبقة السياسية والمثقفة على الخوض فيه دون الالتفات يمنة ويسرة للتأكد من نقاء الجو . والسؤال الذى يطرح نفسه هل اعتبار الخوض فى ذلك نوعاً من المحرمات ؟

وإذا كان الأمر كذلك فهل تم فعلاً أخذ العبرة وتعلم الدرس التاريخى الذى يضمن عدم تكرار ذلك ؟

تعلم الدرس التاريخى حقيقة، يجب أن يعبر عن نفسه فى حالة من الشفافية وارتفاع الحس الشعبى ضد الظلم والاضطهاد بشكل كلى وعام، وأينما حصل دون استثناء بما فيها الممارسات الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة . حالة التململ التى تخرق هذه المحرمات في الاتجاه الإيجابى بدأت، وإن كانت على استحياء، ويحكمها الخوف . لم يعبر عن ذلك أكثر من مقال صحفى فى صحيفة «فاتس» الألمانية فى تاريخ ٢٠٠٢/٥/٢٣ ، تحت عنوان «كسر التحريم» يقول الكاتب :

حتى شهر مارس عام ٢٠٠٢ ساد نوع من الاتفاق السياسى غير المكتوب قوامه عدم انتقاد دولة إسرائيل علانية . ليس هناك من يعترف بوجود اتفاق كهذا . ساد رأى بأنه لا يحق لألمانيا من منطلق إرثها التاريخى أن توجه النقد للسياسة الإسرائيلية . فى أوساط الطبقة العليا الألمانية يسود الاعتقاد أن من يقم بذلك يخاطر بأن يطل الشعور بالعداء للسامية برأسه،

والذى لم يتم القضاء عليه بعد هزيمة ألمانيا فى العام ١٩٤٥ ، إلا أنه لا يمكن المرور على هذا التحريم دون الخوض فيه لأنه يحمل وجهًا آخر، هذا التحريم يتناقض مع قواعد اللعبة فى المجتمع الحر المفتوح . لا بُدَّ أن يأتى الوقت ليسقط هذا التحريم .

ما الذى يحصل على أرض الواقع إذن ؟

يقول «ديتر ألكن» محامى وعضو حزب الاشتراكية الديموقراطية الألمانية اليسارى (PDS) الذى تنتشر قواعده فى الجزء الشرقى من ألمانيا :

إن «باول شبيجل» رئيس المجلس المركزى لليهود ومن لف لفيفه يُسيئون للنضال الحقيقى والشرعى ضد العداء للسامية عن طريق إشهارهم عصا المعاداة لها من خلال حملتهم على كل من «يورجن موليمان» و «جمال قارصلى». إن هذا الرجل يوظف مسألة العداء للسامية بطريقة ديماجوجية لقطع الطريق على الانتقاد الذى تمارسه مؤسسات المجتمع المدنى ضد السياسات الإسرائيلية لإضفاء طابع الشرعية على هذا النقد. إن انتقاد الحركة الصهيونية كحركة سياسية أو الحكومة الإسرائيلية ودولة إسرائيل ليس له علاقة بمعاداة اليهود التقليدية» .

وفى موقع آخر من مداخلته فى موضوع اللاسامية يقول الكاتب :

الاستنتاج الذى توصل إليه «يورجن موليمان» بأن إسرائيل هى الطرف المعتدى، وبالتالى فإن الفلسطينيين

يملكون الحق الشرعى الأساسى فى الدفاع عن أنفسهم ضد إرهاب الدولة الحقيقى الذى تمارسه دولة إسرائيل المحتلة هو محق» .

الواقع السائد حاليًا أن من ينطق بكلمة خارجة عن الخط الرسمى للسياسة المنافقة والمتسترة على سياسات حكومة إسرائيل يحكم عليه بالموت السياسى والاجتماعى . الحديث فى ذلك يشبه التحرك فى حقل من الألغام، وهذا ما تعرف الطبقة المثقفة والسياسية الألمانية جيداً . البيان الصحفى الذى أصدرته وأثار هذه الضجة «الجيش الإسرائيلى يستعمل طرقًا نازية فى قمع الشعب الفلسطينى»، «والذى أدى إلى محاولة النيل من شخصى، أثار الكثير من الأسئلة بين المواطنين والباحثين فى شئون السلام بالإضافة إلى المؤرخين وعلماء السياسة . وهنا أقتبس شيئًا مما قاله المؤرخ اليهودى المعروف «موشيه تسوكرمان» :

منذ عشرات السنين تقوم إسرائيل بممارسة سياسة قمعية احتلالية عنيفة ضد الشعب الفلسطينى، وتمنع هذا الشعب بالقوة من ممارسة حقه الطبيعى فى تقرير المصير . إن كل إنسان لديه الحد الأدنى من احترام الذات مطالب بإدانة هذه الممارسات .

الاستنتاج الذى توصلت إليه قادنى إلى حقيقة مفادها أن العداء للسامية بشكله العنصرى لا يمكن مساواته بالعداء للصهيونية، تلك الحركة السياسية التى عملت على تحقيق برنامجها السياسى من خلال إنشاء دولة إسرائيل، مما قاد فى المحصلة – وعن سبق إصرار وتعمد –

إلى تهجير الشعب الفلسطيني ومصادرة أرضه كاملة واستعباده . وبهذا فهي موضوع للنقد والحوار والتحليل ضمن النتائج التي قاد إليها برنامجها، وهي تختلف جذريا عن باقي الحركات السياسية، ولا يمكن اعتبارها حركة تحرير للشعب اليهودي كما تدعي، بل حركة عنصرية تمارس الدعم لحكومة إسرائيل التي عملت وتعمل على تحقيق برنامج عنصري . هذه النتائج توصلت لها الجمعية العمومية للأمم المتحدة في القرار الذي أصدرته في العام ١٩٧٦، والذي يعتبر الحركة الصهيونية حركة عنصرية . تم تجميد هذا القرار بعد اتفاقيات «أوسلو» المجحفة والفاشلة، والتي تم اعتبارها آنذاك الخطوة الأولى على طريق تصحيح الظلم التاريخي الذي لحق بالشعب الفلسطيني ولو جزئيا، من خلال الوصول إلى حل وسط قوامه إنشاء دولة فلسطينية مستقلة كاملة السيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام ١٩٦٧، ولكن ذلك لم يحصل حيث بدأت الأمور في الانحدار إلى الهاوية بعد اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي «إسحاق رابين» الذي بدأ هذه العملية السلمية – على علاتها – مع منظمة التحرير الفلسطينية . في ذلك الحين لم تتردد الأوساط اليمينية الإسرائيلية في حملات التحريض ضده عن تشبيهه بالجنرالات النازيين الألمان .

ما تقوم به قوى اللوبي الصهيوني على الساحة الألمانية هو عملية صيد في المياه العكرة التي خلفتها الحقبة النازية ؛ حيث تقوم بطريقة انتهازية وتضليلية بالدفاع عن هذه الحركة وعن منطلقاتها، واتهام كل من ينتقدها أو ينتقد حكومة إسرائيل بإثارة نعرات العداء للسامية . يتصدر هذه الجوقة المجلس المركزي لليهود بقياداته والقوى

والشخصيات الداعمة للحركة الصهيونية وتوجهاتها وعلى رأسهم وزير الخارجية الاتحادى «يوشكا فيشر» وأقطاب مهمة فى حزب الخضر الذى يعتبرون الحركة الصهيونية «حركة تحرير للشعب اليهودى» . هذه القوى والشخصيات بالإضافة إلى الكثير من المثقفين والفلاسفة الألمان والغربيين يتجنبون نهائيا الحديث عن هذه الحركة خوفًا من الوقوع فى مطب المحتوى الأيديولوجى الرجعى والعنصرى لها، الذى سوف يعريها بسهولة منقطعة النظير، ويكشف أنه ليس لها علاقة إطلاقًا بحركات التحرر المعاصرة فيما يسمى بالعالم الثالث . بمواقفهم المنافقة والمتسترة يشكل هؤلاء السياسيون خط الدفاع الأول عن هذه الحركة السياسية وممارسات حكومة إسرائيل العنصرية بشكل مباشر أو غير مباشر . الحقيقة الثابتة أنه لا توجد حركة سياسية أو حزب سياسى لا يدين العداء للسامية على الساحة الألمانية، ما عدا النواة الصلبة للحركة النازية الهزيلة والمهملة، والتى لا تتجرأ على ذلك فى مظاهراتها واجتماعاتها إلا ما ندر، وهى تتعرض للملاحقة من قبل الأجهزة الدستورية من أجل كبح جماحها .

دفاعاً عن حكومة الأبارتهايد ... اللوبى الصهيونى

الأسطورة الأولى التى أوهمت الحركة الصهيونية الكثير من يهود العالم بها بدأت بالتآكل والاهتزاز أمام مرارة الواقع الذى بنت عليه أوهامها وأساطيرها . أشاعت هذه الحركة بين يهود العالم أن الاستعمار الكولونيالى لفلسطين التاريخية سوف يقود إلى إنشاء الدولة

اليـهـودية التى تشكل المكان الآمن الذى يلجـأ إليـه يهود العـالم الذين يعانون من العداء للسامية فى بلدانهم . وواقع الحال أن إسرائيل تعتبر من الأماكن الأكثـر خطورة ليعيش فى العـالم، وهى كالثكنة العسكرية التى لا تعرف الهدوء . إن المواطنين يهودى الديانة من مختلف الجنسيات وفى مختلف البلدان يتمتعون بالأمان المطلق مقارنة بما هو عليه حال اليهود فى إسرائيل . السبب فى ذلك هو الشعار المضلل الذى رفعته الحركة الصهيونية لجذب اليهود البسطاء وهو شعار «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»، وبهذا شطبت تلك الحركة وعن سبق إصرار العامل الديموجرافى الفلسطينى من الوجود، والذى أثبت ويثبت وجوده يوميًا من خلال مقاومة الاحتلال والانتقاضات المتوالية مثبتًا فشل هذا الشعار ومثبتًا وجوده ديموجرافيا وثقافيا وسياسيا، وبعناد منقطع النظير، لا مثيل له فى التاريخ المعاصر . وعلى الرغم من ذلك ترفض إسرائيل الحلول الوسط المتمثلة فى حق الفلسطينيين فى إنشاء دولة مستقلة على الأراضى المحتلة منذ عام ١٩٦٧ .

الأسطورة الثانية هى أنه طالما بقى اليهود يشكلون أقليات متفرقة فى البلدان التى يعيشون فيها فسوف يتعرضون لمشاعر الكراهية من قبل الأكثرية فى تلك البلدان، وسوف ينتهى هذا الحال عندما يصبحون أكثرية فى وطن خاص بهم، وكان هذا رأى «تيودور هيرتزل» مؤسس الصهيونية الحديثة .

الواقع أن مشاعر العداء للسامية فى تزايد بالرغم من أن اليهود يشكلون أكثرية فى فلسطين التاريخية . المنبع والمصدر الأساسى لهذه

المشاعر ليس كره اليهود لأنهم يهود، بل هو الحكومة الإسرائيلية اليمينية وممارساتها اليومية ضد الشعب الفلسطينى . المنظمات النازية الهزيلة، والتى تعيش على حافة المجتمع، أصبحت تطل برأسها وتنتعش وتشير إلى الممارسات الإسرائيلية القمعية للتهوين من الأفعال التى تعرض لها اليهود فى الحقبة النازية، وتحاول الإثبات أن الضحية التى تعرض للظلم وذاقت مرارة الملاحقة لا يمكن أن يكون لها ضحايا، مستشهدين بما يحصل فى فلسطين، ليس حبًا فى الفلسطينيين لذاتهم بل من أجل استخدامهم فى الدفاع عن أيديولوجياتهم العنصرية الخاصة . على الجانب الآخر تعمل المنظمات الصهيونية على التصدى لأى نقد يوجه للممارسات القمعية لحكومة إسرائيل، وتوجه لكل من ينتقد ممارسات الدولة العبرية الاتهام بالعداء للسامية بشكل يثير السخرية أمام جبروت وعنف الهجمة على الشعب الفلسطينى الأعزل . النتيجة واضحة جدا وهى أن فزّاعة العداء للسامية التى كانت تثير الرعب والعشور بالذنب عند التلويح بها نتيجة الظلم التاريخى الذى لحق بيهود ألمانيا خاصة وأوروبا عامة أصبحت غير فعالة . وبهذا فإن إسرائيل بسياسة حكومتها تصنع العداء للسامية فى الغرب وتصدره، وتعرض حياة مواطنى هذه الدول من أتباع الديانة اليهودية لعدم الاستقرار والخطر . إن صورة الإنسان اليهودى الذى يُساق إلى أفران الغاز ويحشر خلف الأسوار والأسلاك الشائكة تمهيداً لإبادته أو كمقدمة لإخراجه من التجمعات المدنية التى عاش فيها مئات السنين بدأت بالتآكل لتحل مكانها صورة الجندى الإسرائيلى المسلح حتى الأسنان فى دبابته العملاقة وطائرته الحديثة التى يتحداها طفل فلسطينى بحجر، وصورة العجوز الفلسطينى

المقهور الذى يقف أمام حطام بيته المهدوم أو أشجاره التى اقتلعتها البلدوزرات الضخمة أو أمام السور العنصرى الضخم الذى يقف بينه وبين زيتونته، بالإضافة إلى معسكرات الاعتقال الضخمة فى صحراء النقب وأماكن أخرى . أما الأسانيد والمبررات التى يبرر بها الاحتلال هذه الإجراءات – إن وجدت أصلاً – فهى ضعيفة وتقف على قدم واحدة ؛ لأنها أحادية الجانب وتتحدث عن أمن الاحتلال . أما الفلسطينى فيبدو أن دمه وحرمة أرضه مستباحتان . وتتكاثر الأمثلة التى بدأت تحطم الأيقونة التى تحاول الدولة الإسرائيلية المحافظة عليها بدعم من اللوبى الصهيونى . بدأت صورة الضحية تتلاشى لتحل محلها صورة القاتل، ولم يقف الأمر عند الإجراءات القمعية من عقاب جماعى ومعسكرات اعتقال وغيره، بل تعداه ليصل إلى منظومة القوانين العنصرية أصلاً وإلى إجراءات طالما كافح العالم للتخلص منها لتصبح من الماضى .

ففى خطوة لا مثيل لها بعد انهيار النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا أقدم البرلمان الإسرائيلى «الكنيست» على إقرار قوانين عنصرية تمنع الفلسطينين من حق الإقامة والحصول على الجنسية الإسرائيلية، نتيجة الزواج من مواطنين / مواطنات فلسطينين / فلسطينيات يحملون الجنسية الإسرائيلية، أى من أبناء الشعب الفلسطينى الذين صمدوا فى أرضهم بعد التهجير نتيجة قيام دولة إسرائيل فى عام ١٩٤٨ .

نتيجة لهذا القانون العنصرى يجبر الأزواج من أصول عربية فلسطينية على مغادرة أوطانهم أو العيش منفصلين . هذه القوانين تذكر بقوانين لا تقدم عليها إلا دول ذات قوانين بائدة لم يعد لها وجود فى

عصرنا الحديث، وبالذات بعد الحرب العالمية الثانية وثورة الحقوق المدنية الأمريكية التى قادها الراحل «مارتن لوثر كنج» . الدولة الوحيدة التى استمرت فى ممارسة الفصل العنصرى هى جنوب أفريقيا التى حوصرت وعوملت باحتقار فى المحافل الدولية، والتى لم يكن لها علاقات تذكر بالمجتمع الدولى إلا بالدولة العبرية . بعد انتهاء النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا تنفس العالم الصعداء بانهيار آخر معقل لأنظمة العنصرية البغيضة . البرلمان الإسرائيلى «الكنيست» يتحدى الضمير العالمى ومنظومة القيم الإنسانية فى خطوة غير عادية تستدعى أشد أنواع الشجب والاستنكار والمقاطعة . هذا التطور المتصاعد يثير القلق العميق من منظومة القوانين العنصرية الموجودة أصلاً، والتى تتزايد باستمرار فى تشريعات الدولة العبرية، وتؤدى إلى تشتيت العائلات الفلسطينية . والسؤال الذى يطرح نفسه إلى أى مدى تستطيع إسرائيل الاستمرار فى ممارساتها ؟ وأين هو الضمير العالمى الذى يتحدثون عنه؟

يُضاف إلى ذلك السور الضخم الذى تقوم إسرائيل ببنائه، ويذكر بحائط برلين المقيت وبسور الصين . هذا السور يحصر الشعب الفلسطينى فى جيوب أشبه بالحظائر بحجة الأمن، بينما السبب الحقيقى هو الفصل العنصرى ومنع التواصل الديموجرافى بين أبناء الشعب الفلسطينى . أقرب أصدقاء إسرائيل يجدون صعوبة فى الدفاع عن خطوات الدولة العبرية . فى تصريح لـ «كولن باول» وزير الخارجية الأمريكية فى لقاء له مع صحيفة «معاريف» الإسرائيلية أكد فيه أن استمرار بناء السور يهدد بنسف الجهود الدولية لحل المشكلة الفلسطينية، كما أن «جورج بوش» الصديق الأقرب لإسرائيل ولرئيس

وزراء إسرائيل «أرئيل شارون» صرح أيضًا أن هذا السور يخلق واقعًا على الأرض يحدد حدود الدولة الفلسطينية قبل بدء المفاوضات في هذا الشأن .

«دولة إسرائيل تمارس سياسة الأبارتهايد وعلى المجتمع الدولى أن يعاملها طبقًا لذلك كما تم معاملة جنوب أفريقيا بحيث يجب ممارسة عقوبات دبلوماسية واقتصادية ضدها، وذلك لإجبارها على الالتزام بالقوانين الدولية وبالقيم العالمية الديموقراطية المتعارف عليها . ودون ممارسة ذلك لا توجد أى فرصة للسلام فى الشرق الأوسط»، هذا ما اقترحه القس «ديزموند توتو» من جنوب أفريقيا . هذا الواقع المفضوح والشاذ عالميًا يعتبر التطرق له من المحرمات، وكل من يجرؤ على ذلك يتهم فورًا بمعاداة السامية وكره اليهود . هذه هى الفزَّاعة التى يستغلها اللوبى الصهيونى أفضل استغلال فى الدفاع عن السياسات العنصرية لحكومة إسرائيل . وضمن هذا السياق يتصدر المجلس المركزى لليهود فى ألمانيا الدفاع عن حكومة «أرئيل شارون» . على الرغم من أن هذا المجلس لا يمثل إلا القليل جدا من المواطنين الألمان من أتباع الديانة اليهودية، لكن كل من يتعرض لهذا الواقع وينتقد احتكار اللوبى الصهيونى ممثلاً بالمجلس المركزى لليهود، الذى يسعى من خلال ادعاء تمثيلهم، إلى الحصول على المكاسب على حساب غير الممثلين من قبله . كل من يتطرق لهذه الحقيقة يتعرض للتشهير فى رسالة مفتوحة موجهة منى للمستشار الألمانى «جيرهارد شرودر» فى خصوص عقد الدولة الذى تم إبرامه مع الحكومة الألمانية، والذى يلزمها بدعم المجلس المركزى لليهود بمبلغ ٣ مليون يورو سنويا ؛ حيث تم مضاعفة المبلغ الأساسى الذى تدفعه الحكومة الألمانية من قبل بثلاث مرات، انتقدت هذا الانفراد

والمعاملة المميزة مقارنة بمعاملة الأقليات الأخرى ومن ضمنها أقليات تعرضت أيضًا للإبادة فى العهد النازى مثل من يسمون «الغجر»، وهذا نصها :

«رسالة مفتوحة إلى السيد مستشار جمهورية ألمانيا الاتحادية»

الموضوع : عقد الدولة الذى يُنوى توقيعه مع المجلس المركزى لليهود .

حضرة السيد المستشار

تحية وبعد .

لفت الانتباه فى الأسابيع الماضية ظهوركم ووزير داخليتكم مع السيد «باول شبيجل» رئيس المجلس المركزى لليهود أمام الصحافة؛ حيث أعلنتم عن نيتكم توقيع عقد بين الدولة الألمانية والمجلس المركزى لليهود فى ألمانيا، والذى يتم بموجبه دعم الجالية اليهودية بمبلغ ثلاثة ملايين يورو . ما لفت الانتباه هو أن بنود هذا العقد تبدو وقد تم الاتفاق بشأنها سابقًا، هذا ما تم استخلاصه من أقوال الصحافة التى نشرت أن هذا المبلغ سوف يتم استثماره فى التربية الدينية لليهود الجدد القادمين من دول الاتحاد السوفيتى السابق . والحقيقة أن مضاعفة المبلغ المخصص ثلاث مرات يطرح أسئلة كثيرة فى الأوقات التى تعانى فيها الميزانية من عجز حاد فى الموارد. وسؤالى هو على أى أساس تم مضاعفة المبلغ بما لا يتناسب مع حجم الجالية ؟ وما المعادلة التى تم على أساسها مضاعفة المعونات ؟ وعلى أى أساس تم تحديد المبلغ قبل

إنهاء المفاوضات أو بدئها بمبلغ ثلاثة ملايين يورو ؟ ولماذا تم عقد هذا الاتفاق الآن وليس قبل الانتخابات أو قبل عام أو عامين ؟ ومنذ متى يتم التفاوض مع المجلس المركزى لليهود فى هذا الخصوص ؟ وهل قدمت وعوداً فى حالة نجاحك فى الانتخابات بإبرام هذا العقد ؟ وما يهمنى هنا هو محتوى العقد وما بنوده، وما الالتزامات المترتبة على الدولة الألمانية وعلى الطرف الآخر بموجبه ؟ والسؤال الآخر : هل يمثل المجلس المركزى لليهود أكثرية المواطنين اليهود ؟ وهل يعتبر هدف الدولة الألمانية تعليم وإعداد القيادات الدينية والروحية لأقلية دينية،؟ وهل يتقدم دعم الثقافة اليهودية على الثقافات الأخرى ؟ وإذا كانت الإجابة نعم، أليست الأمور الثقافية مسئولية ولايات الدولة الفيدرالية وليس الاتحاد، وتعتبر الأمور الدينية وممارستها أموراً خاصة، أو أن هذا العقد يدخل فى إطار تعويضات إضافية عن المعاناة التى حدثت قبل ٦٠ عامًا ؟ ومن موقعى كعضو استشارى فى لجنة الهجرة فى برلمان ولاية شمال الراين ويستفاليا، وعملى لسنوات طويلة سابقًا كمتحدث سياسى باسم حزب الخضر لشئون اللاجئين، يهمنى أن أستفسر عما إذا كانت هناك خطط لتوقيع عقود دولة مع أقليات مهاجرة أخرى على سبيل المثال مع الغجر، والذين تم اضطهادهم أيضًا كما حصل مع اليهود .

السيد المستشار

إننى اعتقد أن هناك فجوة معلوماتية كبيرة ينبغى تعبئتها فيما يتعلق بالاتفاق المنوى عقده مع المجلس المركزى لليهود . وهذه الضرورة تنبع من تكاثر الأسئلة التى ترد من المواطنين، والذين تبدو

عليهم الحيرة والتساؤل وعدم التفهم بخصوص هذا العقد . ونتيجة لذلك أرى أن من واجبى أن أتوجه بهذه الأسئلة التوضيحية . وأرى أن توضيح هذا الأمر ضرورى ؛ لأن التعتيم بهذا الخصوص يمكن أن يخلق جواً من الحسد وعدم التسامح والعداء للأجانب ويؤجج المشاعر المعادية للسامية، وهنا يحصل عكس ما قد يكون هدف إليه العقد . وأشكركم مقدماً على الإجابة .

وتقبلوا فائق الاحترام .

(النائب جمال قارصلى)

(عضو برلمان ولاية شمال الراين ويستفاليا)

هذا الموقف من المجلس المركزى لليهود فى ألمانيا يشاركنى فيه أيضاً الكثير من الشخصيات اليهودية العامة، على سبيل المثال لا الحصر الصحفى والإعلامى المعروف «أورى أفنيرى» أحد نشطاء حركة السلام الإسرائيلية المعروفين جيداً من خلال كتاباتهم ولقاءاتهم التلفزيونية مع شبكات التلفزة الألمانية، وهو أحد كتاب الأعمدة فى صحيفة «معاريف» اليومية الإسرائيلية وحامل جائزة نوبل البديلة للسلام، والذى يعيش فى تل أبيب . مواقف «أفنيرى» تقوى اعتقادى وقناعتى بما وصلت إليه فى موقفى من المجلس المركزى لليهود، والذى يعتبر أحد أعمدة اللوبى الصهيونى المهمة فى ألمانيا، ويتبنى مواقف سياسية يمينية متعاطفة مع حزب الليكود الإسرائيلي بزعامة «أرئيل شارون» المتهم بالقيام بجرائم حرب فى مخيمى صبرا وشاتيلا وسيناء . يقول « أورى أفنيرى» رداً على سؤال فى أحد المقابلات الصحفية يتعلق باتهامه لهذا المجلس بعدم الحيادية :

«نعم المجلس المركزى لليهود يعتبر للأسف امتداداً للسفارة الإسرائيلية فى برلين، ولم يكن الأمر دائمًا كذلك . فى الوقت الذى كان يترأسه الراحل «إيجناس بوبس» الرئيس السابق، كان هذا المجلس لا يتردد فى ممارسة النقد ضد السياسة الإسرائيلية . فى حين يبدو أن المجلس الحالى يمارس الدعاية لصالح حكومة «أرئيل شارون» .

وفى سؤال يتعلق بالعلاقات بين منظمة حركة السلام الإسرائيلية وهذا المجلس يجيب «أورى أفنيرى» :

«منذ وفاة الرئيس السابق للمجلس المركزى لليهود «إيجناس بوبس» لم تعد هناك أية علاقة للمجلس بالحركة ؛ حيث إن هذا المجلس يقف إلى جانب حكومة شارون اليمينية المتطرفة، ولهذا السبب ليس لنا علاقة به» .

هذا ما يقوله الإسرائيلى «أورى أفنيرى» عن هذا المجلس . الشخصيات البارزة فى هذا المجلس تستطيع من خلال مواقعها فيه أن تنفذ إلى الكثير من المؤسسات العامة، وتمارس تأثيراً يصب بالطبع فى صالح الحكومة الإسرائيلية، من خلال الحد من الأصوات التى تحاول توجيه النقد إلى هذه الحكومة وسياساتها القمعية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، وأحيانًا تتجنب وسائل الإعلام والمؤسسات الرسمية التغطية أو التطرق للأحداث الناجمة عن سياسة الاحتلال، وبالذات إذا كانت تتعلق بضحايا غير إسرائيليين، وعلى وجه التحديد إرهاب الدولة والاغتيالات التى تنفذها هذه الحكومة ، والمنافية لأبسط القواعد القانونية الدولية . وهناك العديد من الأمثلة، أهمها الدور الذى يقوم به نائب

المجلس المركزى لليهود «ميشيل فريدمان» . من خلال موقعه فى المجلس اليهودى نائبًا للرئيس، استطاع النفاذ إلى أهم الوسائل الإعلامية وهى التلفزيون، وأن يقوم بتحرير وتقديم برامج عديدة تتعلق بالقضايا السياسية والرأى العام، والتى لم يكن بإمكانه أبدًا القيام بها بصفته المهنية كمحامٍ عادى، كما أنه عضو فى المجلس الإدارى للشبكة التلفزيونية الألمانية الرسمية الثانية، وعضو فى الحزب الديموقراطى المسيحى ثانى أكبر الأحزاب الألمانية، ورئيس الكونجرس اليهودى الأوروبى، وهو يعتبر من المتعاطفين مع حزب الليكود بزعامة «أرئيل شارون» ؛ حيث قام بإجراء لقاء تلفزيونى حميم فى منزل الأخير الخاص على غير ما هو متبع وفى القدس الشرقية المحتلة . دور المجلس المركزى لليهود فى قمع الأصوات المعارضة لا ينحصر فى الأصوات الناقدة غير اليهودية، بل يتعداها إلى الشخصيات اليهودية البارزة الناقدة للسياسات القمعية للحكومة الإسرائيلية، مثل «أورى أفنيرى» و«فيليتسيا لانجر» ... وغيرهم، والذين يصفهم رئيس الجالية اليهودية فى مدينة برلين بملوثى العش. هؤلاء الأشخاص من أمثال نائب المجلس المركزى لليهود «ميشيل فريدمان» يتمتعون بسلطات وحصانة فائقة لا يمكن تصورها . المدعو «ميشيل فريدمان» لوحق واتُّهم أخيرًا من قبل الادعاء العام الألمانى بتهمة تعاطى واقتناء المخدرات وقضايا أخلاقية مع نساء عن طريق مجرمين يتاجرون بما يسمى «بالرقيق الأبيض» يشغلوهن فى البغاء . تمت هذه الخطوة الجريئة من قبل الادعاد الألمانى العام بعد وفاة السياسى الكبير «يورجن موليمان» بفترة وجيزة فى

الحادث الذى لم تكشف ملابساته أبداً . اعترف «ميشيل فريدمان» بذلك وقام بالاعتذار علناً عن أفعاله، ولم يلاحقه الادعاء العام وتخلى عن كل المناصب التى يتقلدها . المثير للدهشة أنه بعد أربعة أشهر من هذه الفضائح الأخلاقية المخجلة وفى سابقة خطيرة يُدعى هذا الشخص للحديث فى أكثر البرامج السياسية شهرة فى ألمانيا للمشاركة فى ندوة سياسية معروفة، فى تحدٍ لمشاعر المشاهدين الذين تولتهم الحيرة، والذين احتجوا من خلال رسائل وجهوها للشبكة التلفزيونية الرسمية التى دعته للمشاركة فى تلك الندوة . بعدها بيوم واحد تقوم شبكة تلفزيونية أخرى بدعوته للمشاركة فى برنامج آخر، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعاقدت معه مجلة شهيرة لكتابة أحد الأعمدة لصالحها . وعندما ينتقد المرء تحيز المجلس المركزى لليهود لصالح حكومة «أرئيل شارون» القمعية وإجراءاتها المنافية لأبسط القواعد الدولية ويعبر عن سخطه نتيجة سيطرة وتأثير اللوبى الصهيونى على وسائل الإعلام الألمانية وتكميمه للأفواه، يتهم بالعداء للسامية . انتقاد السياسات القمعية للاحتلال الإسرائيلى يعاقب عليه الناقد بالحكم عليه بالموت السياسى والتعتيم كما حدث معى ومع السياسى الكبير الزميل الراحل «يورجن موليمان»، بينما تتم إعادة التأهيل والغفران لـ «ميشيل فريدمان» نائب رئيس المجلس المركزى لليهود فى ألمانيا، والذى يتقلد مناصب أخرى عامة – اضطر للتنازل عنها – وتثبت عليه تعاطى واقتناء المخدرات بالإضافة إلى التورط فى قضايا دعارة وكأن شيئاً لم يكن، فى تحدٍ سافر لمشاعر وعقل الجمهور والمثقفين والسياسيين المتنورين

والتقدميين . إن دل ذلك على شيء فإنما يدل وبشكل قاطع على سياسة التستر والابتزاز التى تمارسها الأوساط الصهيونية وتلك المتحالفة معها من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام ونفاذها إلى مراكز صنع القرار وتأثيرها على السياسيين أصحاب الضمير الحى، الذين لا يبقى أمامهم فى غالب الأحيان غير السكوت وعدم التعرض للقضايا الساخنة فى الشرق الأوسط ، مما يثير سخط الجمهور، ويحد من ثقته فى العمل السياسى والسياسيين، وينمى المشاعر المعادية للسامية .

فى معرض تقديمها لهذا الكتاب (النسخة الصادرة باللغة الألمانية) شاركتنى المحامية الإسرائيلية «فيليتسيا لانجر» حاملة جائزة نوبل البديلة للسلام والمعروفة فلسطينيا وعربيا بدفاعها عن قضايا الأسرى فى سجون الاحتلال الإسرائيلية فى ما وصلت إليه . تقول المحامية «فيليتسيا لانجر» :

«هذا الكتاب عبارة عن تشريح يكشف حملات التضليل والتحريف والقمع للآراء المغايرة، ويثبت كيف أن أى انتقاد للسياسات الإسرائيلية المخالفة للقوانين الدولية يتم خنقه قبل أن يرى النور، من خلال تفسيره جزافًا كعداء للسامية، وأن القضاء سياسيا واجتماعيا على هؤلاء الناقدين يعتبر على ما يبدو إلزامياً لجعل هؤلاء عبرة لمن اعتبر . الحقائق الواردة تثير القلق، وفى بعض الأحيان محزنة، ولكن هذا الكتاب يرفع المعنويات ؛ لأنه يثبت بعناد أنه لا يمكن إسكات الأصوات الحرة» .

الإعلام الألمانى واللوبى الصهيونى

على سبيل المثال يطـرح فـى الأوساط السياسية السؤال التالى : ما وجه الشبه بين السياسى والذبابة؟ قد يبدو هذا السؤال مثيراً للسخرية، ولكن الإجابة عليه قد تحمل مغزًى كبيراً : كلاهما يمكن قتله بجريدة. المعايشات والأحداث التى مررت بها من خلال ما سُمى فى الإعلام الألمانى «قضية قارصلى» بتشابكاتها مع مصير السياسى الكبير الراحل «يورجن موليمان» ذى التاريخ الطويل فى السياسة الألمانية، والذى تقلد منصب وزير الاقتصاد ونائب المستشار فى حكومة المستشار السابق «هيلموت كول» فتحت عينىَّ على المستوى المتدنى فى الكذب والنفاق الذى قد تصل إليه وسيلة إعلامية معينة كالصحيفة إلى جانب الوسائل المرئية والمسموعة الأخرى عندما لا تتحرى الموضوعية .

فى المجتمع الديموقراطى المفتوح تلعب الصحافة (السلطة الرابعة) دور صمام الأمام الذى يمارسه الرأى العام على العمل السياسى والسياسيين . وتعدد هذه الوسائل وحريتها هو احد الضمانات الأساسية لتحقيق هذا الهدف . والسلطة الرابعة نفسها، من خلال تعددها وتنافسها تمارس الرقابة الذاتية على نفسها، بحيث يضمن تمثيل كل الآراء والاجتهادات فى المجتمع . الواقع الحالى على الساحة الإعلامية يعرض للأسف صورة مختلفة جداً وبالذات بعد عملية الخصخصة التى تعرضت لها وسائل الإعلام، والتى قادت إلى تركيز ملكيتها فى أيدٍ معينة قادرة على توجيه الرأى العام وصناعته بشكل غير

حيادى على عكس ما تقتضيه أخلاق المهنة . وبهذا يصعب الحديث عن الغرض الأساسى من حرية الصحافة فى المجتمع الحر الديموقراطى . هذا هو واقع الخارطة الإعلامية على الساحة الألمانية، مع استثناء بعض شبكات التلفزيون العامة (شبه الحكومية) التى تمول من خلال الرسوم التى تجبيها الحكومة من المواطنين على شكل ضريبة الإذاعة والتلفزيون، والتى تتميز بالموضوعية النسبية . فى الحملة الإعلامية التى شنت ضدى كانت وسائل الإعلام هى الحاسم فى توجيه الرأى العام وتضليله بشكل متعمد، لتشويه صورتى وتحريف أقوالى ومنطلقاتى وبشكل مفضوح، وينطبق ذلك على زميلى البرلمانى «يورجن موليمان» ؛ حيث تم اتهامنا بالعداء للسامية وإثارة المشاعر المضادة لها، ليس لسبب إلا لانتقادتنا الممارسات القمعية للجيش الإسرائيلى ضد المدنيين العزل . هذه النتيجة التى توصلت إليها لم تأت من فراغ، بل أكدتها أحداث لاحقة . بناءً على تصريحاتى الصحفية التى أعلنت فيها أن الجيش الإسرائيلى يستخدم طرقًا نازية فى قمع الانتفاضة الفلسطينية، تصدر المجلس المركزى لليهود، ممثلاً برئيسه ونائبه الحملة الإعلامية التى اتُّهمت فيها بالعنصرية وبمعاداة السامية . ولأن هذا يحمل تضليلاً وتحريفًا للحقائق ولمنطلقاتى الإنسانية، قمت برفع دعوى قضائية ضدهم اتهمتهم فيها بالإقدام على تشويه السمعة والقذف . فى لائحة الاتهام التى قدمها محامى أرفقت مقالاً صحفيًا قام بكتابته خصيصًا لهذا الغرض الدكتور «هايو ماير» وهو من اليهود الناجين من المحرقة النازية الذى يشاركنى الرأى فيما ذهبت إليه . فى مقالته التى كتبها أثبت صحة ما ورد فى

تصريحاتى عن طريق المقارنة التاريخية والعملية بين ما عاناه هو وغيره من اليهود الألمان وبين ما يعانيه الشعب الفلسطينى، نتيجة هذه المقارنة مذهلة . المهم فى هذا الموضوع أن الدكتور «هايو ماير» قد أرسل بمقالته هذه إلى كافة وسائل الإعلام الألمانية، ولم يجد وسيلة إعلامية واحدة تنشر مقاله هذا على الإطلاق ولا حاجة للتعليق على ذلك، خصوصًا أنه يستحيل أن يكون هذا الشيخ اليهودى الناجى من المحرقة النازية معاديًا للسامية .

قمع حرية النشر بدعوى العداء للسامية هى العصا المرفوعة دائمًا للدفاع عن سياسات حكومة إسرائيل العنصرية . والأمثلة عديدة، ففى مناسبة الاحتفال بذكرى تأسيسها قامت إحدى دور النشر الألمانية الشهيرة فى ألمانيا باسم «سوركامب» بإصدار كتيب بعنوان «ما بعد الإرهاب»، قامت دار النشر تلك بتضمين هذا الكتيب منشوراً عن كتاب صادر عن الفيلسوف الكندى - البريطانى «تيد هوندرش» . هذا الكتاب تضمن نقداً للسياسات الإسرائيلية المناقضة لأبسط القواعد الإنسانية والدولية فى المناطق الفلسطينية المحتلة .

ولم ينتظر القارئ كثيراً حتى حدث ما هو متوقع على الساحة الألمانية . فى رسالة مفتوحة إلى دار النشر تلك وجهها «ميشا برومليك» رئيس معهد « فرتس بور» فى مدينة فرانكفورت الألمانية، اتهم فيها دار النشر العريقة تلك بالعداء للسامية وللصهيونية . والأخطر من ذلك اتهامه لها بنشر العداء لليهود من خلال الخلفية والأساس الفلسفى الفكرى اللذين استند إليهما كتاب ذلك الفيلسوف الذى قامت دار النشر تلك

بنشره . ولم يكتف «ميشا برومليك» بذلك، بل طالب بسحب ذلك المنشور من الأسواق .

فى تعليقى على الحملة ضد حرية الرأى والنشر أكدت – بصفتى نائبًا مستقلاً فى برلمان ولاية شمال الراين ويستفاليا الألمانية ورئيس حزب «فاكت» الذى عملت على تأسيسه – خيبة أملى العميقة لهذا الواقع المشوه، لاسيما أن الهدف من وراء هذه الحملة هو إسكات الأصوات الناقدة لسياسات حكومة إسرائيل العنصرية والقمعية ضد الشعب الفلسطينى، والتى تتناقض مع أبسط متطلبات قواعد حقوق الإنسان . وأكدت أن الهدف الأبعد من ذلك هو خنق كل أصوات الاحتجاج قبل أن تجد طريقها للجمهور عن طريق التلويح بعصا العداء للسامية التى تُستخدم فى غير الإطار المناسب أى فى الدفاع عن السياسات الإسرائيلية .

ونتيجة لذلك انحنت دار النشر العريقة تلك أمام الضغط الهائل والابتزاز الذى مورس ضدها وسحبت المنشور من الأسواق .

وتساءلت فى البيان الصحفى الذى أصدرته : إلى متى ستستمر هذه الممارسات اللاديموقراطية والقمعية ، والتى ذقت مرارتها وعنفها كما حدث أيضًا مع السياسى الألمانى المعروف «يورجن موليمان» والذى دفع حياته ثمنًا لها ؟

هذا القمع النفسى والعام لحرية الرأى أدى إلى انحسار النقد لسياسات الحكومة الإسرائيلية العدوانية ضد الشعب الفلسطينى على الساحة الألمانية وإلى فقدان الجمهور لثقته بالسياسيين . وقد استنكرت عدم وجود الأصوات التى تنادى بانتقاد الممارسات الإسرائيلية، والتى

تبرر سياساتها القمعية بالعمليات الفلسطينية المسلحة فى الوقت الذى تخرق هى فيه كل الاتفاقيات والقواعد الإنسانية وتمارس إرهاب الدولة جهاراً نهاراً . إن ما كتبه الفيلسوف «تيد هوندرش» لا يتعدى قوله بحق الشعب الفلسطينى فى الدفاع عن نفسه أمام العدوان الدامى والمفضوح ضده، والذى يهدد حياته ومصادر عيشه ؛ أى بقائه . وهذه أبسط القواعد القانونية والدولية المتعارف عليها عالميًا من حيث المبدأ، أما الوسيلة التى تتم بها هذه المقاومة فيمكن الخلاف بشأنها .

إن ما يجرى واقعيا على الساحة الألمانية هو عملية غسيل دماغ منظمة بهدف وصف الدفاع الشرعى للشعب الفلسطينى عن نفسه وأرضه - أيًا كان شكل الدفاع هذا - بالإرهاب . عمليات تفجير الحافلات والمقاهى أضرت بالصورة العادلة للدفاع الشرعى عن النفس ضد الاحتلال الذى كرسته الانتفاضات الشعبية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة لدى الرأى العام العالمى . استغلت الحكومة الإسرائيلية هذه العمليات أبشع استغلال لتشويه الصورة الشرعية لدفاع الفلسطينيين عن أنفسهم أيًا كان شكل هذا الدفاع ولإصباغ صفة الإرهاب عليه . فى الوقت نفسه اتخذت الحكومة الإسرائيلية هذه العمليات ذريعة لممارسة أقصى أنواع القمع ضد الفلسطينيين وتغيير الواقع الجغرافى على الأرض، والذى كانت ستقوم به حتى دون تلك العمليات مثل بناء السور العنصرى لأسباب إستراتيجية تتعلق بالواقع الديموجرافى الذى حكمه التكاثر السكانى الفلسطينى، كما أن خرقها لكل اتفاقيات الهدنة التى عقدت بوساطة مصرية، والتى توصلت إلى

وقف هذه العمليات، دليل آخر على عدم رغبة الحكومة الإسرائيلية فى الوصول إلى سلام عادل . حكومة إسرائيل اليمينية استمرت فى ممارسة إرهاب الدولة عن طريق عمليات التصفية التى قامت بها لشخصيات سياسية فى الحركات الإسلامية وغيرها ؛ مما أثبت أن هذه الحكومة غير معنية بتوقف هذه العمليات أصلاً . وهى ترغب أيضًا فى تحقيق أغراض دعائية هدفها الأساسى ربط الدفاع الشرعى الفلسطينى عن النفس بالإرهاب أيًا كان شكل هذا الدفاع، ووقف عملية التسوية السلمية، وإشعال حرب أهلية يعى الفلسطينيون خطرها، وتهدف إلى الحد من تأثير الحركات الإسلامية الفلسطينية . كل ذلك بدون الحصول على أى ثمن يخفف المعاناة عن الشعب الفلسطينى أو يبشر ببارقة أمل فى حل عادل ؛ بمعنى آخر طلب من السلطة الوطنية الفلسطينية العزلاء ، المحطمة الأجهزة، القيام بـ «الأعمال القذرة» التى عجزت عنها قوات الاحتلال نفسها المدججة بالسلاح .

على المستوى الدولى لم يتم اتخاذ أى إجراءات توقف شلال الدماء وتدفع الطرف الإسرائيلى بل تجبره على دفع استحقاقات العملية السلمية وأولها إنهاء الاحتلال والاستيطان وصولاً إلى الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة . بدلاً من ذلك تعلق إسرائيل استنكافها عن تنفيذ الاتفاقات على شماعة الأمن الذى تحاول من خلاله إقناع القوى الدولية بأنها مهددة فى وجودها، وهى تستغل الآثار التى تتركها العمليات الموجهة ضد المدنيين أحسن استغلال لتغطى على سياسة إرهاب الدولة التى تمارسها ضد الفلسطينيين، وهى تنجح فى ذلك إلى

أبعـد الحـدود . تزامنت زيارة كـان يقـوم بـهـا وزير الخـارجـيـة الألمانى «يوشكا فـيشـر» إلى إسـرائيل مع وقـوع الهـجـوم على إحـدى المراقص الليلية فى تل أبيب ؛ حـيث كـان يقـيم الوزير على بعـد مـئـات الأمـتـار، وأصر «يوشكا فيشر» على النزول من فندقه ومشاهدة آثار العملية . منذ ذلك الحين لا يمل هذا الوزير من تكرار الحديث عن احتياجات إسرائيل الأمنية ووصف بشاعة ما شاهده على الطبيعة، ولا شك فى بشاعة ذلك . تحرى العدل والموضـوعـيـة يلزم وزير الخـارجـيـة الألمانى «يوشكا فـيشـر» وغـيـره أن يلقـوا نظرة على مظالم ومـعـاناة الطرف الفلسطينى أيضـًا . صور عمليات الإعدام التى تمارسها القوات الإسرائيلية فى مراكز المدن الفلسطينية التى تعجُّ بالمدنيين والبيوت المهدومة على رءوس أصحابها من الشـيـوخ والنسـاء والأطفـال والمدنيين وحـواجـز الإذلال العـسكرية على الطرقات لا تقل بشاعة عن نتائج أى عملية يقوم بها فلسطينيون ضد المدنيين الإسـرائيليين . وقف دوامة العنف يلزم الأطراف الدولية بالبحث عن أسباب استمرارها وإلزام كافة الأطراف بالموافقة على حلٍّ عادلٍ بناءً على قرارات الأمم المتـحـدة . الواقـع مـخـتلف حـيث لا نرى بوادر لذلك بل تصاعدًا فى الصراع بسبب مواقف الحكومة الإسرائيلية المتعنتة .

إن توازن موقف ألمانيا بثقلها الأوروبى فى هذا الصدد يصب فعليًا وعلى أرض الواقع فى صـالح الحل السلمى والعـادل لقـضـايا الشـرق الأوسط ويحقن الكثير من الدماء .

وعلى الجـانب الإعـلامى يطرح السؤال نفسـه : إلى مـتى سـتـبـقى ألمانيا عاجزة عن ممارسة دورها الإيجابى نتيجة الممارسات الابتزازية

للوبى الصهيونى ضد حرية النشر ؟ هذه الحرية ستصب فعليًا فى إيضاح الصورة الحقيقية للواقع على الأرض وتضع النقاط على الحروف وتبين الطرف المعتدى من المعتدى عليه، وصولاً إلى فرض حل متوازن يراعى المصالح الحيوية لجميع الأطراف .

لم تتوقف حملة كم الأفواه عند الكُتَّاب والفلاسفة والصحفيين على الساحة الألمانية، بل تعدتها إلى البرلمانيين والسياسيين على الساحة الأوروبية وإن كان فى سياق آخر . فى رسالة تضامنية منى موجهة إلى السيد «جورج جالووى» العضو العمالى فى مجلس العموم البريطانى، والذى أبعد أخيراً من حزب العمال بسبب مواقفه المبدأية . فى هذه الرسالة أعربت له عن تضامنى معه، عندما علمت بالحملة التى تشن ضده بسبب مواقفه المؤيدة للشعب العراقى ومحاولاته منع الحرب التى شنت ضد هذا البلد . إن تعاطفى معه فى هذا الموقف لا ينبع عن قناعة فقط، بل لأننى كنت ضحية لحملة من هذا القبيل . وشرحت له الأسباب التى قادت إلى خروجى من حزب الخضر، ومن ثم من حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) . ومما ورد فى رسالتى التضامنية الموجهة له ما يلى :

منذ اللحظة التى علمت فيها عن الحملة التى تتعرضون لها فى هذه الأيام وددت أن أعلن عن تضامنى معكم ومع ضحايا هذه الحملة الإعلامية الموجهة ضدكم وبدوافع سياسية . وإننى أعلن عن استعدادى لدعمكم ضد هذا التحريف والتضليل الموجه ضد شخصكم

ومـواقـفكم ؛ لهـذا فـإنه يسـرنى أن أدعـوكم لزيارتـى فى مكتبى فى مدينة «دوسلدورف» من أجل تبادل الخبرات فى هذا الصدد أو يشرفنى أن أقابلكم فى إنجلترا وكما ترونه مناسباً .

النتـائج الكارثيـة لحـالة تكمـيم الأفـواه التى تمارسـها الأوسـاط الصهيونية والرجعية المتحالفة معها والمتنفذة عبرت عن نفسها من خلال الاستطلاع الذى جرى فى ١٥ دولة أوروبية، وهى دول الاتحاد الأوروبى الحالية، والذى وجهت فيه أسئلة تتعلق بالحرب ضد العراق والوضع فى الشرق الأوسط والسِّلم العالمى . النتيجة الأكثر لفتًا للانتباه كانت بخصوص سؤال يتعلق بالسِّلم العالمى ومن هى الدولة الأكثر تهديداً له ؟

النتيجة كانت كارثية بالنسبة لإسرائيل، حيث يعتقد ما نسبتهم ٥٩٪ من المواطنين الأوروبيين الذين ضمهم الاستطلاع أن إسرائيل هى الدولة الأكثر تهديداً للسِّلم العالمى . ومما يلفت النظر أن بعض الدول المعروفة بتعاطفها التقليدى مع إسرائيل مثل هولندا التى تحققت فيها أعلى النسب ؛ حيث بلغت فيها نسبة الذين يعتقدون بذلك ٧٤٪، وفى الموقع الثانى كانت النمسا ؛ حيث بلغت النسبة ٦٩٪، أما فى ألمانيا والدنمارك فقد بلغت هذه النسبة ٦٥٪ .

وفى خطوة تعبر عن النمط الذى تتبعه الأوساط الصهيونية فى تكميم الأفواه، طالب مركز «سيمون روزنطال» ، المركز الذى يهتم بإحياء ذكرى الكارثة النازية ضد اليهود بعدم نشر نتائج هذا الاستطلاع . هذا بدلاً من لفت نظر حكومة إسرائيل إلى الأسباب الكامنة وراء ذلك وإعادة

النظر فى سياسات المنظمات التى تتستر على ممارسات هذه الحكومة القمعية والعنصرية . الأحرى بهذا المركز أن يلفت الأنظار إلى الأسباب التى تقف خلف هذا الانقلاب الأوروبى الشعبى وهى سياسات حكومة إسرائيل . وبدلاً من ذلك اتهم الحاخام «مارفين هير» الأوروبيين بالعداء المزمن للسامية، وقام بالاحتجاج ضد نتائج هذا الاستطلاع ؛ حيث حرض حكومة إسرائيل على الانتقام سياسيا، وطالبها بتحجيم الاتحاد الأوروبى عن لعب أى دور فى الجهود السلمية فى الشرق الأوسط . ولحسن الحظ قاد احتجاجه هذا إلى تأخير نشر نتائج الاستطلاع إلى حين وليس إلى منعه . أما رئيس الوزراء الإسرائيلى «أرئيل شارون» فقد سارع إلى التحذير من وجود ١٧ مليون مسلم فى أوروبا فى لهجة تحمل تحريضًا واضحًا ضدهم، ولكنه يقفز عن الحقائق التى قادت إلى هذا الانقلاب فى الرأى الأوروبى الشعبى، وهى دون شك سياسات حكومته التعسفية ضد الشعب الفلسطينى الأعزل وليس مسلمى أوروبا .

المتابع لوسائل الإعلام الألمانية المقروءة والمرئية يلمس الانحياز الصارخ فى تغطيتها للأحداث فى الأراضى الفلسطينية المحتلة خاصة وفى العالم العربى عامة . ولاعتقادى الراسخ بأن الكلمة قد تصنع طريقًا ورأيًا عامًا، ألمس خطورة فى الطريقة والعبارات التى تستخدم فى وصف الحدث . ليس ذلك وحسب بل ألمس معالجة تفوح منها رائحة العنصرية نتيجة التفريق بين ضحية وضحية . المعاناة الإنسانية للأم الفلسطينية التى تفقد فلذة كبدها لا تختلف عن معاناة الأم الإسرائيلية، وهذا من الثوابت والمسلمات . ما يتم خلال التغطية الصحفية للحدث الفلسطينى

يخرق هذه القاعدة بشكل مزرٍ . ففى الوقت الذى تمتلئ فيه الصحف بصور ضحايا العمليات الفلسطينية فى إسرائيل وعلى الصفحات الأولى، حيث تزدحم هذه الصفحات بصور الأمهات الثكالى، تكاد تخلو هذه الصحف من الصور والتعليقات التى تصف الضحايا الفلسطينيين، وإن حدث ذلك ففى الصفحات الداخلية وبإيجاز شديد يكاد يخلو من أى تعاطف إنسانى مع هؤلاء . وانطلاقًا من أن كل روح بشرية تسقط ضحية هى خسارة بغض النظر عن جنسية هذه الضحية أو ديانتها يبقى السؤال مطروحًا هل القيمة الإنسانية لضحية قتلت ظلمًا أو تعسفا تختلف تبعًا لجنسيتها أو ديانتها ؟

فى الوقت الذى توصف فيه العمليات الفلسطينية «بإرهاب دموى أعمى يقوم به أشخاص فلسطينيون مجرمون دمويون »، توصف العمليات العسكرية الإسرائيلية بنوع من التلطيف «بالعمليات الثأرية أو العسكرية أو عمليات مكافحة الإرهاب التى يقوم بها جنود الجيش الإسرائلى»، حتى لو كان الضحايا فى الحالتين مدنيين . وتكاد وسائل الإعلام هذه لا تذكر أن بين الضحايا نساء حوامل أو أطفالاً وشيوخًا ومدنيين على الجانب الفلسطينى إلا ما ندر . الصورة التلفزيونية الحية أصبح لها مفعول لا يُستهان به فى بلورة الرأى العام وصناعته . فعندما يسقط الطفل «محمد الدرة» بين ذراعى والده برصاص جنود الاحتلال أمام عدسة الكاميرا التلفزيونية تجد الدولة العبرية نفسها فى ورطة كبيرة، وتعتذر عن الحدث الذى اخترق ذاكرة المشاهدين فى كل أنحاء العالم . ولأن هذه الصورة تثير السخط وتظهر بما لا يقبل الشك

الاستخفاف الذى يتم فيه تصفية الإنسان الفلسطينى جسديا، لم يكن بد من محوها من الذاكرة عن طريق بث برنامج آخر مضاد . قامت الشبكة التلفزيونية الألمانية الأولى أكبر محطة تلفزيونية ألمانية ببث برنامج يشكك فى أن الطفل «محمد الدرة» الذى أصبح رمزاً عالميا يلخص معاناة الشعب الفلسطينى الذى لا حول له ولا قوة، قد سقط برصاص الجيش الإسرائيلى . تم بث هذا البرنامج بعد ١٨ شهراً من الحدث الدموى . وقامت إحدى الصحف الشعبية واسعة الانتشار (بلدتسيتنج) بالتمهيد لهذا البرنامج المضاد بنشر خبر على الصفحة الأولى بمانشيت عريض تحت عنوان : الشبكة التلفزيونية الأولى تكشف الحقيقة، «محمد الدرة» لم يسقط شهيداً بالرصاص الإسرائيلى بل بالرصاص الفلسطينى. الذاكرة الأوروبية لا تنسى صورة الطفل اليهودى المجهول الذى يقوده الجنود النازيون مع مدنيين آخرين وهو رافع يديه مستسلماً، هذه الصورة أصبحت رمزاً يمثل المعاناة التى تعرض لها يهود أوروبا . هذا البرنامج الملفق فشل فشلاً ذريعًا فى إثبات ما ذهبت إليه الصحفية «استر شابيرا» التى أعدت هذا البرنامج . على ما يبدو فإن ذكرى «محمد الدرة» لا تساويها ذكرى ذلك الطفل اليهودى المجهول، وكأنهما ضحيتان مختلفان فى القيمة الإنسانية . قد يعتقد القارئ أن التعتيم الإعلامى يمارس لأن الضحية فلسطينىٌ . الواقع أمرٌ من ذلك ؛ فإذا عدنا بالذاكرة قليلاً إلى الوراء فسنتذكر - بكثير من الإعجاب والأسى - أولئك الذين سقطوا بنيران قوات الاحتلال الإسرائيلى من غير الفلسطينين، والذين عاشوا مأساة هذا الشعب ودفعوا ثمنًا باهظًا لوفائهم لقيم العدالة والإنسانية .

طبيب الأطفال الألماني «فرانك فيشر» الذي تزوج وعاش في مدينة بيت لحم منذ زمن بعيد قتل عندما هب لإسعاف الأطفال والمدنيين الجرحى في أثناء اجتياح الدبابات الإسرائيلية لمدينة بيت لحم ، وقد شيع في جنازة فلسطينية لائقة في مدينته بيت لحم حيث ووري التراب .

«راحيل كوري» الأمريكية ابنة الثلاثة والعشرين ربيعًا داستها جنازير جرافة إسرائيلية وهي واقفة كالطود لتدافع عن بيوت الفلسطينين التي تقوم بهدمها جرافات الجيش الإسرائيلي . ممثل الأمم المتحدة البريطاني الجنسية يُقتل برصاص الجيش الإسرائيلي في أثناء ممارسته لمهام عمله في منطقة جنين المنكوبة .

لم يعد الأمر يقتصر على الفلسطينيين أو الأجانب المقيمين أو المتضامنين مع الشعب الفلسطيني، بل وصل الأمر إلى حد إطلاق النار على مواطنين إسرائيليين من حركة السلام الإسرائيلية يتضامنون مع الفلسطينيين ويحتجون ضد الممارسات الإسرائيلية كما حدث في منطقة نابلس على أحد الحواجز العسكرية الإسرائيلية، والقائمة لن تنتهي .

في تاريخ ٢٠٠٣/٤/١ حاولت محطة «آرتي» التلفزيونية التي تبث باللغتين الفرنسية والألمانية بث فيلم «جنين جنين» الذي قام بإخراجه الفنان الفلسطيني «محمد بكري» . يعرض هذا الفيلم انطباعات ومشاعر إنسانية عفوية لأهالي مخيم جنين بعد المذبحة التي قام بها الجيش الإسرائيلي في المخيم . قبل العرض بفترة قصيرة قامت المحطة

بالاعتذار عن عرض الفيلم دون إبداء الأسباب . حسب مصادر موقع الخدمة الإعلامية لصحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية على شبكة الإنترنت، قامت قوى اللوبى الصهيونى بالتدخل لدى الحكومة الفرنسية التى أوقفت عرض الفيلم . الفنان «محمد بكرى» أكد أن وقف العرض يتعلق بالدعوى القضائية المرفوعة من قبله ضد الرقابة الإسرائيلية التى منعت عرض الفيلم فى إسرائيل . مدير البرامج فى محطة «آرتى» «فيكتور روكاريس» اعترف أن وقف العرض له علاقة بالاحتجاجات التى قامت بها الطائفة اليهودية فى باريس، وادعى أن وقف العرض، نتج عن عدم رغبة المحطة فى زيادة التوتر بين الطائفة اليهودية والأقليات العربية فى فرنسا . فى الوقت نفسه تم عرض الفيلم الإسرائيلى «الإرهابى خاصتى»، والذى يصور معاناة الإسرائيليين، وبهذا بقيت الأمسية أحادية الجانب، ولم تمثل وجهة النظر الفلسطينية . الثمار التى جنتها قوى اللوبى الصهيونى هى تصوير الإسرائيلى فى دور الضحية . ضد هذا التدخل الفاضح والمخجل فى صناعة الرأى احتجَّت حتى بعض الأصوات اليهودية والإسرائيلية التى تعتقد أن هذا يمثل خرقًا فظا لمبادئ الديموقراطية وحرية الرأى بل لأبسط قواعد النزاهة . الفلسطينى أو العربى مغيب عندما يتعلق النقاش بقضاياه المصيرية ، بينما تعجُّ الساحة الإعلامية بأشباه الخبراء والصحفيين الذين يتبنون وجهات النظر الأخرى أو ينقصهم غالبًا الحد الأدنى من النزاهة والموضوعية عدا الكفاءة والمعرفة . إن لعب دور الضحية الأبدى أصبح القاسم المشترك بين معظم البرامج التى تقدمها وسائل الإعلام الألمانية

فى تصوير الإسرائيلى فى حين أن العربى هو الفاعل، والإرهابى، وقاسى القلب أبداً .

التقارير الإخبارية عن قضايا الشرق الأوسط تعتبر انتقائية، ويجمعها قاسم مشترك ، وهو عدم الحيادية .

الأسباب الكامنة وراء ذلك فى غاية البساطة ؛ ففى مداخلة مهمة لخبيرة الشئون الفلسطينية المتخصصة فى موضوع الاستيطان الدكتورة «فيكتوريا فالتس» من جامعة دورتموند من قسم «هندسة التخطيط الحضرى»، والتى عملت فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، أوضحت فيها الأسباب التى تقف خلف ذلك على لسان أحد الوزراء الفلسطينيين السابقين . تقول الدكتورة «فيكتوريا فالتس» فى مداخلتها :

هل تعلمون أن الصحفيين الألمان العاملين فى المنطقة حيث مركز عملهم إسرائيل يوقعون على تعهد بعدم كتابة تقارير ضد الأمن والمصالح الإسرائيلية؟ هل يخطر على بالكم أن ذلك يساوى بالضبط الالتزام بالصمت والتستر على الوقائع؟ هل يمكنكم مجرد التفكير أن الصحفيين ووسائل الإعلام الألمانية قابلة للشراء أو الابتزاز بهذا الشكل؟ هؤلاء يلتزمون عمليا بإخفاء الحقائق، وإن قاموا بنشرها ففى النشرات الإخبارية فى ساعات الليل المتأخرة، ليس لأنهم لم يتعلموا الدرس من الماضى النازى ويدعمون الفاشية، بل لأنه لا يسمح لهم بذلك .

ولا داعى للتعليق على الأمر ؛ حيث إن مداخلة هذه الخبيرة الألمانية فيها مجمل الحقيقة . فى أى زمان وأى مكان وفى الساعات الحالكة والصعبة، لا بُدَّ أن يكون للحقيقة والعدالة أصدقاء يصلون لحقائقهم واستنتاجاتهم بالعقل السليم، ومجرد معايشة الأحداث عن قرب . أن تعيس الحدث وأن تكون جزءاً منه خير من أن تقرأ عشرات الكتب أو تستمع لنفس العدد من التقارير، ولكن جدار الصمت سميك وشائك، وقد يجرح الأصابع عند محاولة تجاوزه أو تسلقه . هذا ما توصلت له عندما وقفت مشدوهاً أمام أطلال مخيم جنين الذى دمره الجيش الإسرائيلى، غير قادر على النطق بكلمة واحدة خلال الساعة الأولى من الجولة الاستطلاعية التى قمت بها بين أطلال هذا المخيم المنكوب . مخيم جنين لم يكن المثال الوحيد . فى الزيارة التى قمت بها لمدينة رام الله لم أصدق ما تراه عينى . الدمار الذى أحدثه الجيش الإسرائيلى فى مبانى المقاطعة (مقر الرئيس عرفات وأجهزة حكومية أخرى) ليس له مبرر إلا التخريب والانتقام ودون أى دواعٍ أمنية أو عسكرية فقط لمجرد التخريب . قيام الجرافات الإسرائيلية بحراثة مدارج مطار غزة الدولى المدنى الذى بنى بأموال دافع الضرائب الألمانى يثير الغضب، ويضع علامات استفهام كبيرة على أهداف السياسة الإسرائيلية التى تقف خلف عمليات التخريب هذه دون أى مبرر أمنى ... والقائمة لا تنتهى . الهدف الواضح هو تدمير كل ما يمكن أن يمتَّ بصلة لأشكال السيادة والاستقلال الفلسطينى، ويشكل بنية تحتية لدولة فلسطينية عتيدة كاملة السيادة . وهذا ما يدركه جيداً السياسيون الألمان وعلى رأسهم وزير الخارجية «يوشكا فيشر» .

ويبزغ فجر جديد : «فاكت» حزب الضمير الحى

تحت عنوان حـزب جـديد ممثل فى برلمان ولاية شـمـال الراين ويستفاليا الألمانية صدر البيان الأول الذى يعلن عن ولادة أول حزب ألماني يؤسسه مهاجر من أصل عربى باسم «فاكت» : حزب الحرية والعمل والثقافة والشفافية، تطلعت ولاية شمال الراين ويستفاليا بكاملها إلى مدينة دوسلدورف، ليس بسبب الأزمة السياسية الطاحنة التى تواجه الائتلاف الحاكم المشكل من حزبى الاجتماعى الديموقراطى وحزب الخضر، بل لأن حزباً جديداً اقتحم الساحة السياسية متطلعاً لأن يكون القوة الثالثة فى برلمان ولاية شمال الراين ويستفاليا . فى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٢٩ توج حزب «فاكت» انطلاقته، واحتفل بهذه المناسبة فى فندق «راديسون» فى مدينة دوسلدورف ؛ حيث انتخبت بأغلبية ساحقة رئيساً للحزب . وبهذا أصبح الحزب ممثلاً فى هذا البرلمان من خلال المقعد الذى أشغله كنائب مستقل . بالإضافة إلى انتخاب الأمانة العامة للحزب، تم التصويت على إقرار البرنامج العام ونظام إدارة الجلسات . وأعلنت كأول رئيس منتخب أن الحزب سوف يقتحم ساحة العمل السياسى بقوة وفاعلية بشعاراته التى أخذها على نفسه وهى : السلام، والعمل، والثقافة، والشفافية . خطة العمل القادمة سوف تتضمن التوجه إلى جمهور الشباب والمهاجرين وإلى تلك المجموعات التى لا تشعر أنها ممثلة من قبل الأحزاب الموجودة . هذه المجموعات التى علينا استمالتها إلى صفنا وحثها على العمل والتكامل والمشاركة لتحقيق أهداف الحزب . حزب «فاكت» يرغب فى التصدى للمشاكل الاجتماعية الملحة والعمل على

تحقيق العدالة وإشاعة جو السلام الاجتماعى، بالإضافة إلى دعم قضايا السِّلم العالمى . حزب «فاكت» يرى فى البطالة المستحكمة أكبر التحديات التى ينبغى التصدى لها والعمل من خلال برنامج أعده الحزب للتصدى - على وجه الخصوص - لظاهرة البطالة الدائمة والطويلة الأجل ؛ حيث إنه يضع حلولاً ومقترحات لحل هذه المشكلة المستحكمة .

إن من أهداف الحزب أيضًا التوجه لأولئك الألمان من المهاجرين الذين وجدوا فى ألمانيا وطنًا جديداً لهم .

اختيار موعد عقد المؤتمر التأسيسى للحزب فى تاريخ ٢٩/٥/٢٠٠٣ لم يأت من فراغ، فهذا التاريخ يعتبر يومًا أسود فى تاريخ التعايش المشترك فى ألمانيا ؛ حيث قامت جماعة عنصرية حاقدة ومجرمة بإشعال النار فى أحد بيوت المهاجرين الأتراك نجم عنه وفاة خمسة أعضاء من أسرة واحدة، فى واحدة من أعنف الجرائم ضد الأقليات العرقية فى ألمانيا . سوف يدخل هذا التاريخ فى روح هذا الحزب، ويعتبر يومًا يجب العمل على عدم تكراره ؛ حيث بدأ الاجتماع التأسيسى بالوقوف دقيقة حداد على أرواح الذين سقطوا نتيجة هذا الهجوم الجبان .

إن اسم الحزب «فاكت» يعتبر بحد ذاته برنامجًا للحزب الذى سيقف بلا هوادة ضد العداء للأجانب والأقليات والشرائح الضعيفة فى هذا المجتمع، وسوف يعمل على أن لا يكون الدين أو العرق هو مقياس الحصول على الحقوق المدنية والسياسية فى كل المجالات، بدأ من حق العمل والاعتزاز بالهوية الثقافية .

الحزب الجديد يعتبر سابقة على الساحة السياسية الألمانية ؛ حيث إنه للمرة الأولى يبرز حزب ألمانى يؤسسه أحد المواطنين من أصل غير ألمانى .

مبادئ الحزب وأسسه العامة

انطلاقًا من الأسس الديموقراطية وقيم الحرية التى يضمنها دستور جمهورية ألمانيا الاتحادية، وانسجامًا مع كل ما يؤدى إلى تمهيد الطريق لإصدار دستور أوروبى موحد، بالإضافة إلى القناعة الراسخة بإمكانية التعايش السلمى بين الشعوب تم إعلان انطلاق حزب فاكت تحت شعار : سلام، وعمل، وثقافة، وشفافية .

حزب «فاكت» يسعى إلى تحقيق المساواة بين جميع مواطنى جمهورية ألمانيا الاتحادية، وتمكينهم من فرض إرادتهم السياسية متمتعين بالحرية وملتزمين بروح المسئولية .

نحن جزء لا يتجزأ من هذا العالم، يربطنا مصير واحد دعامته الحوار السياسى والتبادل الثقافى والاقتصادى . نؤمن بعالمية حقوق الإنسان طبقًا لما هو وارد فى ميثاق هيئة الأمم المتحدة الذى يضمن المساواة بين الأفراد والاستقلال وحق تقرير المصير للشعوب بغض النظر عن الثقافة والمعتقد أو الجنس ولون البشرة .

هدفنا بناء المجتمع الحر المنفتح على أسس السلام والحرية والمساواة مع كل المؤمنين بهذه القيم، لنكون جزءًا من نظام عالمى يتسم

بالحرية والانفتاح بعيداً عن التمييز العنصرى وانتهاك حقوق الإنسان بكل أشكالها .

حزب «فاكت» ينطلق من شعاراته لتحقيق أهدافه، ويرى أن هذه الشعارات حال تحقيقها كفيلة بحل المشكلات الاجتماعية، والتى يجتهد «فاكت» لإيجاد حلول لها .

السلام

«فاكت» حزب يؤمن بالسلام، ويدعم تطبيق مبادئ العدالة كأساس لاستباق وقوع الأزمات والحد منها، وصولاً إلى تحقيق السلم العالمى والحفاظ عليه، ويرفض العنف واللجوء إليه كوسيلة لحلها .

يؤمن حزب «فاكت» بالحوار والتفاهم بين الشعوب وبحقها فى تقرير مصيرها بنفسها ويطالب بتطبيق مبادئ حقوق الإنسان والاعتراف بها . كما يطالب الحزب بتطوير وتقوية هيئة الأمم المتحدة لتصبح مؤسسة ديموقراطية مزودة بالوسائل التى تمكنها من ممارسة صلاحياتها اعتماداً على الإدارة السليمة .

الوصول إلى هذه الأهداف يستدعى الحد من هيمنة الدول ذات الماضى الاستعمارى، التى تحتكر القرار الأممى ولا تلتزم مبدأ الحياد مما يؤدى إلى نشوء بؤر الصراع واستفحال ممارسة العنف كمبدأ فى العلاقات الدولية بدلاً من الحوار . حزب «فاكت» يؤمن أن القضاء على

بؤر الصراع والعنف الناشئة أو المحتملة يمكن فقط من خلال اتباع الإجراءات الوقائية بناءً على الأسس السابقة وليس من خلال الإجراءات العسكرية وشن الحروب . ولهذا السبب يجب الحيلولة دون هيمنة بعض الدول وصولاً إلى الحد من استعمال العنف كأداة لتحقيق الأغراض السياسية فى العلاقات الدولية، كما يؤمن الحزب بأن الحد من العنف والإرهاب يتأتى فقط من خلال القضاء على مسبباته وليس فقط من خلال مقاومة تأثيراته .

نظرًا لمحدودية الموارد الطبيعية والمواد الخام سوف يتميز القرن الواحد والعشرون بالتنافس الحاد على هذه المصادر. يرى حزب «فاكت» أن ضمان السَّلم العالمى مستقبلاً يمكن تحقيقه فقط من خلال التوزيع والاستثمار العادلين لهذه المصادر، كما يجب العمل على تقليص الهوة بين بلدان الشمال والجنوب من أجل مكافحة الفقر فى العالم ومن أجل تحقيق السَّلم العالمى .

العمل

من أجل تطوير المجتمعات التي نعيش فيها لا بُدَّ من إعادة النظر جذريًا فى أسس قياس مستوى الرفاهية، والعمل على تغييرها لتصبح أكثر تنوعًا . ضرورة التغيير واعتماد نماذج جديدة تنبعان من عدم إمكانية تحقيق الرفاه المعيشى للجميع دون مراعاة شروط تحقيق ذلك من قبل كافة القوى الديموقراطية .

النمط السائد فى تقييم قيمة العمل الاقتصادية لا يشمل إلا تلك الأعمال التى يتم تقاضى أجر عند إنجازها، أما الأعمال الأخرى مثل تربية الأطفال والاعتناء بكبار السن، والتى تقوم بها غالبًا النساء، لا تدخل ضمن هذا الإطار، وبهذا تكون القيمة الاقتصادية «منطق السوق» هى التى تحدد قيمة الإنجازات العملية، وهذا يستدعى الإصلاح لضمان عدم التمييز وإحقاق العدل ؛ لأن العمل ليس فقط مجرد إنجاز اقتصادى، بل ضرورة وضمان لاستمرار بقاء الإنسان . مفهوم العمل الحديث له خصائص مهيئة أكثر لتجديد وبث الروح فى معنى الحياة الشخصية مقابل ما هو دارج من الاعتبارات الاستهلاكية ، وطبقًا لهذا التعريف المعاصر يعرف العمل بأنه المكان الذى يتم فيه توجيه الأفراد نحو أهداف معينة ومنحهم المكانة الاجتماعية وإمكانية مشاركتهم فى النشاطات الجماعية؛ حيث يتم من خلال الفريق وضع الأهداف اليومية العادية وتعريفها، إعادة التأهيل والنشاط وإخراج القدرات والمهارات المكتسبة إلى حيز الوجود يؤدى إلى الشعور بنشوة النجاح والتميز .

انطلاقًا من هذه المفاهيم يتضح أن ظاهرة البطالة تحمل معنى أكبر من إهدار المصادر أو عدم القدرة على توفير متطلبات الحياة . البطالة كظاهرة جماعية تؤدى إلى ضعف المجتمع، ولهذا السبب يعمل حزب «فاكت» على التصدى لها من خلال وضع البرامج والخطط لمنعها وبالذات تلك طويلة الأمد، والتى يعتبرها الحزب عاملاً أساسيا يقود إلى مجتمع هش .

مكافحة البطالة طويلة الأمد وبصورة فعالة تستدعى تكييف السياسات المالية والضريبية لتتناسب مع الخطوات المتبعة للوصول إلى هذا الهدف وعلى رأسها إزالة العوائق الضريبية والحد من البيروقراطية .

تعتبر القوانين الضريبية المتبعة على درجة من التعقيد، وتتسم بعدم الوضوح حتى لدى الخبراء، مما يستدعى اعتماد الشفافية والتبسيط فى هذا المجال . انطلاقًا من أن العمل هو من أهم وسائل الإنتاج ينبغى إعادة النظر فى قيمته ؛ بحيث يكفى لتغطية تكاليف حياة العامل من خلال الأجر الذى يتقاضاه، ويتم ذلك أساسًا عن طريق خفض الرسوم المترتبة على العامل وربّ العمل للحفاظ على فرصة العمل . القياس السليم لقيمة العمل يتم من خلال الأخذ بآراء العاملين فى هذا الشأن .

يرى حزب «فاكت» أنه لا بُدَّ من مراعاة مصالح العاطلين عن العمل أثناء المداولات والنقاشات المتعلقة بلائحة الأجور «التعرفة» بين ممثلى العمال وأرباب العمل .

إن تحديد قيمة العلم تتم من خلال الكفاءة التى تستلزم تأديته، وبهذا فإن التأهيل العملى والتعليم هما الأساس الذى تتم من خلالهما تحدى دقيمتـه، ولهذا على الطرفين أرباب العمل والعاملين أنفسهم الالتزام برفع درجة الكفاءة والتعليم ؛ بحيث لا يراعى فقط العامل الاقتصادى فى ذلك، بل الجوانب الاجتماعية والبيئية أيضًا .

يجب الحد من قيام العاملين بتأدية أعمال إضافية فوق الحد المتعارف عليه، فى الوقت الذى يعانى فيه ملايين الأشخاص من البطالة، كما ينبغى مكافحة التشغيل غير المشروع ووضع الخطط التى تحد منه .

الثقافة

يتسم المجتمع الذى نعيش فيه بالتنوع والتعددية فى القيم والقناعات وأساليب الحياة، مما يغنى الحياة الاجتماعية، ويساهم فى إثراء التبادل الثقافى بين قطاعات المجتمع المختلفة . تحتاج المجتمعات إلى الديموقراطية فى تأدية وظائفها إلى أشخاص مفعمين بروح الفريق، متمتعين بالثقة المتبادلة والتعاون لخدمة الصالح العام . ويتنامى هذا الالتزام من خلال المصالح والاهتمامات المشتركة لتلبية الاحتياجات المختلفة والمتنوعة . إن التعاون المتبادل يشكل الأساس الحاسم فى ترابط المجتمع، وتحقيق ذلك يعتبر العامل الحاسم فى الشعور بالانتماء والاندماج فى المجتمع، وبالتالى المشاركة فى مجمل النشاطات الاجتماعية .

يرى حزب «فاكت» أن ألمانيا بلد يستقبل المهاجرين، ويجد فى تنوع الخلفيات الثقافية لهؤلاء القادمين الجدد، الذين وجدوا فيها وطنًا جديداً لهم، إثراءً على الصعيدين الاقتصادى والثقافى . إن هذا التنوع الثقافى يجب أن يقود إلى مواصلة تطور هذا المجتمع . انطلاقًا من ذلك فقد وضع حزب «فاكت» نصب عينيه العمل على مشاركة هذه الشرائح فى الحياة الاجتماعية كهدف بحد ذاته . التنوع الثقافى يعنى المنافسة، ومن أجل أن يصبح ذلك إثراء للحياة الاجتماعية فلا بُدَّ من توفر المساواة التى تأخذ هذا التنوع بعين الاعتبار . المساواة الاجتماعية تعنى المشاركة التى تحتم التعاون بين أفراد المجتمع على قاعدة الندية

والاعتراف المتبادل بالآخر وفقط، وفقًا لهذا المنهج يمكن تحقيق السِّلم الاجتماعى .

يؤمن حزب «فاكت» أن الدين جزء من ثقافة الفرد، ويضم الحزب فى صفوفه أعضاءً مختلفى الديانات ولهم خلفيات ثقافية متنوعة ؛ لذلك يدعو حزب «فاكت» إلى الفصل بين الدين والدولة بشكل صارم . فى المجتمع العلمانى تعنى الثقافة حرية الرأى أيضًا، وانطلاقًا من ذلك يدعم حزب «فاكت» هذه الحرية بدون حدود طالما كان الأمر يتعلق بموضوع ضرورى وصحيح لصالح المجتمع .

الحرية الدينية والإعلامية هى جزء أساسى من الحريات التى يضمنها المجتمع المدنى، وبناءً عليه لا يجوز التمييز بين الأفراد أو إلحاق الضرر بهم بسبب معتقداتهم .

يقود التنوع الثقافى إلى تنوع فى المعارف والمؤهلات والكفاءات ؛ حيث يعتبر ذلك مقياسًا لها . ويشكل التنوع محور استقطاب للبشر ؛ حيث يتوافدون حيثما وجد للتمتع بالمزايا التى يمتلكها ؛ لذلك يجب النظر إلى الثقافة كفرصة تتيح الحصول على عوائد اقتصادية أيضًا . لهذه الأسباب مجتمعة يجب النظر إلى الثقافة وتعددها بما تحمله من تنوع فى العادات والتقاليد ككنز ينبغى الاعتناء به وعدم استغلاله كأساس وسبب لقمع المخالفين فى الفكر، وبالتالى ممارسة العنف ضدهم .

التنوع الثقافى يعتبر فرصة للتعليم وزيادة التحصيل العلمى، ولا يمكن توصيله إلى إدراك البشر إلا من خلال التعليم، ولهذا يولى

حزب «فاكت» التعليم أهمية كبيرة من أجل تدعيم التربية كجزء من السياسة الثقافية .

التربية والتعليم

تعتبر التربية عملية تعليمية تبدأ منذ الولادة، وهى تتضمن اكتساب قدرات اجتماعية، ولا تقل أهمية عن التعليم المدرسى والمهنى والجامعى . تعتبر التربية شكلاً من أشكال العمل أيضًا، وهى جزء أساسى بالنسبة إلى مجتمع يؤدى وظائفه بشكل فعال، ويقود الاعتناء بها إلى تحسين نوعية الحياة الاجتماعية مثلها مثل العمل المأجور .

يرى حزب «فاكت» أن النظام الاقتصادى السائد حاليًا يهمل قضايا التربية ويُقوِّض توازن العديد من المجتمعات من خلال إجبارها على التحول إلى خلايا إنتاج لسلع التصدير وعلى استغلال المصادر الطبيعية، ويهمل التركيز على قضايا التعليم والصحة وأنظمة التضامن الاجتماعى ؛ لذلك يجب مراعاة عامل التربية عند تحديد قمة العمل الإنتاجى، ويؤيد الحزب اتباع نفس الأسس والمقاييس فى تقدير قيمة التربية والعمل المأجور .

التربية تبدأ من الأسرة، ومصالح الأطفال تحتم التعاون بين الأسرة والمدرسة والدوائر الحكومية . يجب أن يكون التعليم مستقلاً عن المركز الاجتماعى أو المالى للفرد، وتمنح الفرصة لتلقيه بغض النظر عن هذه العوامل بحيث يصبح مهمة اجتماعية لرفع مستوى حياة المجتمع،

ويستدعى الوصول إلى ذلك توجيه مسيرة التعليم، وفقًا لمتطلبات الحياة وعلى رأسها مواكبة سرعة وتيرة تقدم التكنولوجيا المعلوماتية . هناك حاجة ملحة لمدارس قادرة على تهيئة الأطفال للحياة وغير محكومة بالتوجيه عبر مناهج تعليمية متزمتة، ولهذا يجب أن تتمتع المدارس باستقلالية من حيث التمويل، ويعمل حزب «فاكت» على زيادة التعاون مع القطاعات الاقتصادية، ويدعو إلى تمكين المدارس من تحمل المسئولية الذاتية عن إدارة موازناتها المالية .

الشفافية

الشفافية تعتبر الشرط الأساسى لبلورة وعى جماعى فى المجتمع المتشعب من حيث البنية، وتعمل على زيادة الشعور بالانتماء له . يتكرس هذا الانتماء حين يصبح الفرد مطلعًا وجزءًا من الحوار الذى يدور فيه، تتميز ألمانيا بوجود نقص فى هذا الجانب . التشريعات القانونية يلفها الغموض وعدم الوضوح حتى لدى الخبراء فى هذا المجال، بالرغم من أن بعضها يعود إصداره لأكثر من مئة عام . انطلاقًا من ذلك فلا بُدَّ من العمل على تبسيط القوانين والأحكام الصادرة لتصبح واضحة على المستويين السياسى والإدارى والعمل على إلغاء غير المناسب منها ابتداءً بالتشريعات والأحكام الضريبية . هذه الصعوبة تتضح على وجه الخصوص عند رغبة أحد المواطنين بالتبرع للصالح العام .

يعمل حزب «فاكت» على تحقيق المزيد من الشفافية على الساحة السياسية، ويخص بالذكر مخصصات البرلمانيين التى يجب إخضاعها للمعطيات الاقتصادية العامة واقتطاع الرسوم الضريبية منها أسوة بغيرها .

يرى حزب «فاكت» أن عمل جماعات الضغط «اللوبى» أمر مرغوب فيه، على ألا تخضع عملية ممارسة النفوذ للتأثيرات الاقتصادية والمالية ؛ لهذا فإن الحزب يؤيد العمل على منع البرلمانيين من ممارسة أعمال الاستشارة والإشراف لدى القطاع الخاص إلا إذا كان ذلك على أساس فخرى دون مقابل، كما يجب على البرلمانيين إخضاع أحوالهم الاقتصادية للرقابة العامة وكشف مصادرها . يجب العمل على فصل القرار السياسى عن التنفيذى ؛ بحيث لا يجتمعان فى يد واحدة فى مجالات الإدارة العامة، وبحيث تنعدم فرصة التداخل الوظيفى مما يزيد من ثقة المواطن فى هذه الإدارات، كما يجب العمل على تقريب مفاهيم الإدارة العامة إلى إدراك المواطنين من خلال التقليل من البيروقراطية . تنبع ضرورة الإصلاح من زيادة النفقات المترتبة على الدولة نتيجة التعقيدات الإدارية والبيروقراطية، كما يدعو حزب «فاكت» إلى إلغاء النظام الوظيفى فى التشغيل عندما لا يتعلق الأمر بالشئون الأمنية المهمة . ويجب التركيز على هذا الإلغاء فى مجالات التعليم والإدارة العامة ليكون الأداء والفعالية محكومين بالقدرة على الإنجاز . تحقيق ذلك يضمن المرونة فى الميادين المتعلقة بالتنظيم والموارد البشرية مما يؤدى إلى إيجاد فرص عمل جديدة .

مسافة الألف ميل تبدأ بخطوة

فى المؤتمر غير العادى الذى عقد فى مدينة كولونيا، انتخب حزب «فاكت» قائمته الاتحادية لانتخابات البرلمان الأوروبى . تقدم للترشيح فى هذه القائمة ١٩ عضواً ؛ حيث تم التصويت عليها من قبل أعضاء الحزب وإقرارها . وفى كلمتى التى ألقيتها فى هذا المؤتمر غير العادى أكدت أن حزب فاكت هو «حزب أوروبا» الحقيقى، الذى يتمثل قيم الوحدة الأوروبية التى يسعى إلى تحقيقها من خلال برنامجه ؛ حيث يسعى إلى دمج الناس من مختلف الأصول والثقافات والديانات والاهتمامات، على أسس السلام والحرية والديموقراطية، ليتمكنوا من رسم مستقبلهم سوياً وعلى أسس من التعاون والاحترام المتبادل .

وقد طالبت فى كلمتى التى ألقيتها بأن تتخذ أوروبا مواقف خارجية وأمنية موحدة ؛ لأن ذلك فى غاية الأهمية . هذه الأهمية تنبع من ضرورة استقلالية القرار الأوروبى الذى يجب أن لا يحتاج إلى الأخ الأكبر «الولايات المتحدة الأمريكية» ووصايته . وأكدت فى هذا السياق أن وزير الخارجية الحالى «يوشكا فيشر» لا يمكن أن يحقق ذلك من خلال موقعه الحالى ؛ بسبب تغير مواقفه وتضاربها، وطالبت كذلك بشفافية وديموقراطية أوروبية أعمق وحييت الاقتراح القاضى بإقرار دستور أوروبى موحد، وبالذات إقرار ما سمى «بالأكثرية المزدوجة» فى القرارات المتخذة على المستوى الوزارى، والتى تعنى ديموقراطية وشفافية أكثر، دعامتها المواطن الأوروبى .

كما طالبت بأن لا تنثنى أوروبا على نفسها وتتقوقع ؛ حيث يجب عليها أن تفتح ذراعيها لضم تركيا إلى عضويتها آجلاً أم عاجلاً عندما تحقق الأخيرة الشروط المطلوبة، والتى تؤهلها لذلك، وأهمها إقرار الديموقراطية الحقيقية وحقوق الإنسان ورعاية حقوق الأقليات . كما شددت على المسئولية الأوروبية تجاه الشرق الأوسط ؛ حيث إن السياسات الأوروبية فى الماضى قادت أو ساهمت فى نشوء العديد من بؤر الصراع فى المنطقة . ومن هنا تنبع مسئولية أوروبا فى حل هذه الصراعات، كما دعوت إلى العمل على إنشاء منظمة شبيهة «بمؤتمر الأمن والتعاون الأوروبى» للشرق الأوسط . دعوت كذلك على المستوى الحزبى إلى مباشرة العمل على تأسيس اللجان المحلية فى المدن المختلفة من أجل المشاركة فى الانتخابات المحلية فى العام ٢٠٠٤ ؛ حيث تم تأسيس فروع للحزب فى مدن : آخن، وبون، وجيلزن كيرشن، وكولن، وكلنج هاوزن، ومدينة فوبرتال فى ولاية شمال الراين ويستفاليا أكبر الولايات الألمانية من حيث عدد السكان (١٨ مليون نسمة)، كما يتم التخطيط للبدء فى الانطلاق فى بقية المدن والولايات الاتحادية .

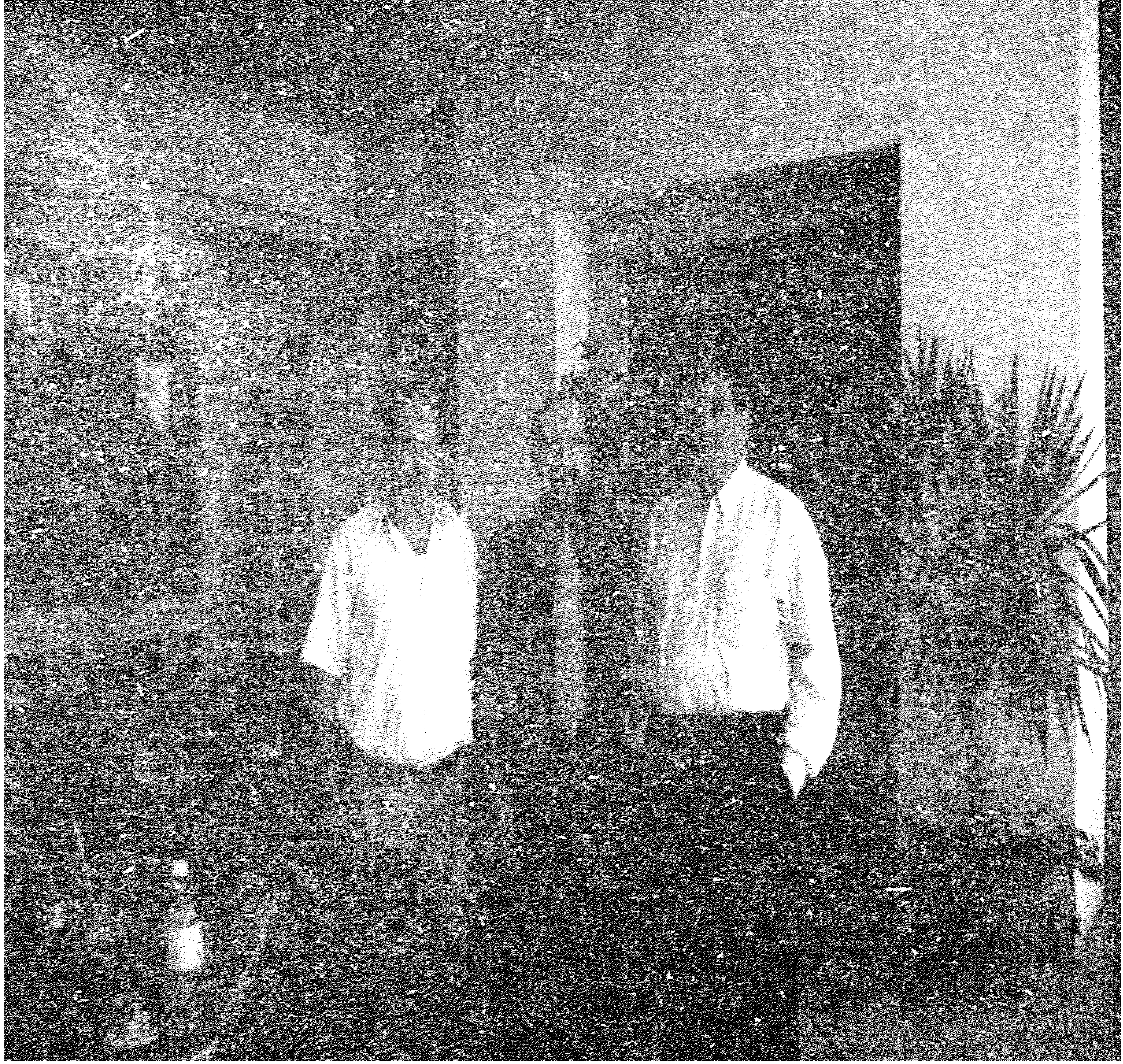
ملـحـق الصـــور



مع السيد عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية فى أثناء زيارة له لألمانيا
(تصوير إدمون حريق)



مع الرئيس الفلسطينى السيد ياسر عرفات فى أثناء زيارة له بمكتبه فى مبنى المقاطعة المدمرة فى رام الله .



أتوسط النائبين العربيين فى الكنيست الإسرائيلى

(عزمى بشارة وعبد الملك الدهامشة) فى مدينة القدس



أثناء الكلمة التى ألقيتها فى مؤتمر الحزب الديموقراطى العربى فى مدينة الناصرة



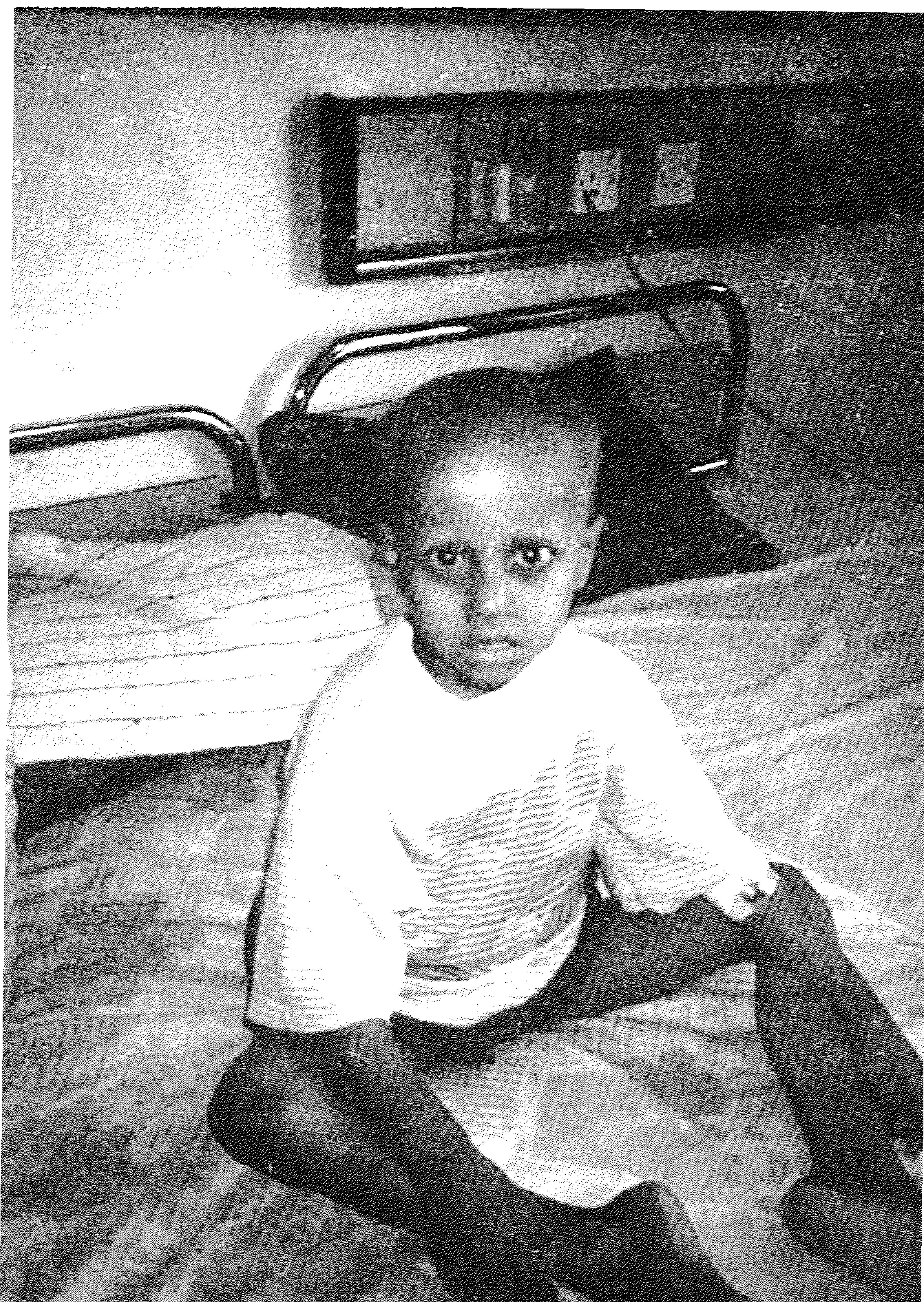
فى مخيم جنين فى أثناء الزيارة الاستطلاعية بعد المجزرة التى ارتكبتها القوات الإسرائيلية



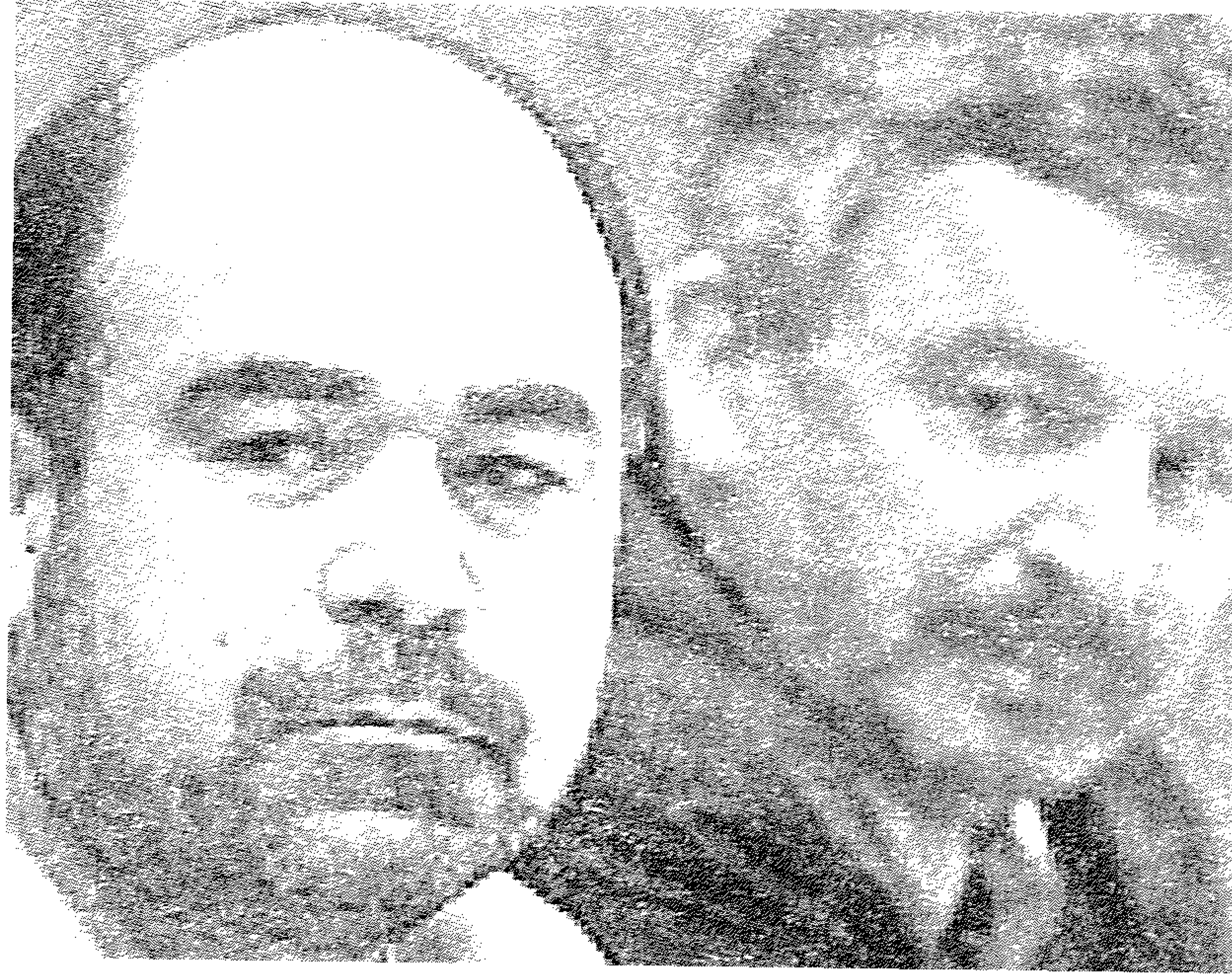
مع السيد رجب طيب إردوغان رئيس الوزراء التركى فى أثناء زيارة تضامنية معه عندما حكم عليه بالسجن بسبب إلقاء قصيدة لشاعر قديم ذات مضمون دينى



مع السيد عباس غزاوى السفير السابق للمملكة العربية السعودية فى ألمانيا



صورة أحد الأطفال العراقيين المصابين بالسرطان التقطتها فى أثناء الزيارة
التضامنية للعراق وقت الحصار



مع وزير اقتصاد ألمانيا ورئيس جمعية الصداقة العربية الألمانية المرحوم يورجن موليمان



مع وزير الخارجية الكويتي محمد الصباح في برلين



مع قداسة البابا يوحنا بولس الثانى فى الفاتيكان



مع السيد يوهانس راو رئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية السابق



مع الرئيس الكوسوفى إبراهيم روكوفا فى العاصمة بريشتينا فى أثناء زيارة لإقليم كوسوفو



صورة تظهر الدمار الذى لحق بسراييفو التقطتها وقت الزيارة التى قمت بها للبوسنة



مع السيد فاروق الشرع وزير خارجية سوريا فى أثناء زيارته لألمانيا

ملحق الأسماء الواردة فى الكتاب

هانس ديترش جينشر :

وزير خارجية ألمانيا المخضرم، أحد أهم وجوه حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) ، اشتهر بدوره فى تحقيق الوحدة الألمانية فى عهد المستشار الألمانى السابق هلموت كول .

باول شبيجل :

رئيس المجلس المركزى لليهود، وهو رجل أعمال يدير وكالة للدعاية التجارية، وعضو حزب الديموقراطيين الاجتماعيين (SPD) .

إيجناس بوبس :

الرئيس الذى خلف «جالنسكى» أول رئيس للمجلس المركزى لليهود فى ألمانيا بعد وفاته، وكان عضواً فى حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP) .

ميشيل فريدمان :

محامٍ، كان نائب رئيس المجلس المركزى لليهود، عضو حزب الديموقراطيين المسيحيين (CDU)، عضو إدارة البرامة فى الشبكة التلفزيونية شبه الحكومية، يدير لقاءات تلفزيونية سياسية، رئيس الكونجرس اليهودى الأوروبى، تخلى عن مناصبه بعد الفضائح الأخلاقية التى تورط بها .

إريخ فريد :

شاعر يهودى نمساوى تقدمى ومعادٍ للصهيونية، كتب شعراً يصف فيه معاناة الشعب الفلسطينى .

شراجا إيلام :

صحافى ومؤرخ إسرائيلى معادٍ للصهيونية يعيش فى سويسرا، ألَّف العديد من الكتب فى تفنيد ادعاءات الحركة الصهيونية .

جدعون ليفى :

صحافى إسرائيلى، عمل مساعداً لدى وزير الخارجية الإسرائيلى السابق «شمعون بيريز» أثناء الائتلاف الذى جمع حزبى الليكود والعمل .

محمد الدرة :

الطفل الفلسطينى الذى اغتيل برصاص الجيش الإسرائيلى على حاجز «إيرز» فى أحضان والده .

جينى تونج :

تحمل درجة الدكتوراه فى علم النفس، المتحدثة الرسمية باسم حزب الليبراليين الأحرار البريطانى لشئون الشباب، عضوة فى البرلمان البريطانى .

جيدو فيسترفيله :

محامٍ ورئيس حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP)، نائب فى «البوندستاج» البرلمان الألمانى .

رجب طيب إردوغان :

رئيس وزراء تركيا الحالى، وزعيم حزب العدالة والتنمية التركى .

رادوفان ميلوسفتش :

الرئيس الصربى السابق الذى يقف أمام محكمة العدل الدولية فى لاهاى بتهمة التورط فى جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية .

يورك هايدر :

رئيس حزب الحرية النمساوى، اشتهر بعدائه للأجانب .

يورجن موليمان :

نائب رئيس حزب الديموقراطيين الأحرار (FDP)، رئيس جمعية الصداقة العربية الألمانية، نائب مستشار ووزير اقتصاد سابق . توفى فى حادث غامض عند نزوله بالمظلة بعد الحملة الإعلامية التى شنت ضده نتيجة مواقفه من القضية الفلسطينية .

يوشكا فيشر :

وزير الخارجية الألمانى، وعضو حزب الخضر وأحد مؤسسيه .

سمير نقاش :

كاتب وأديب يهودى إسرائيلى تقدمى من أصل عراقى، كان عضواً فى الحزب الشيوعى العراقى، ولم يتوقف عن الكتابة بلغته الأم العربية .

ديتر ألكن :

أحد قيادات حزب الاشتراكية الديموقراطية الألمانى اليسارى الذى تنتشر قواعده فى شرق ألمانيا .

موشيه تسوكرمان :

مؤرخ وكاتب يهودى تقدمى معادٍ للصهيونية .

ميشا برومليك :

رئيس معهد «فرتس بوبر» فى مدينة فرانكفورت الألمانية الذى يهتم بإحياء ذكرى الكارثة النازية التى تعرض لها اليهود .

مارفين هير :

رجل دين يهودى .

مارتن لوثر كنج :

زعيم حركة الحقوق المدنية الأمريكى الذى ناضل ضد العنصرية، تم اغتياله .

مصطفى كمال أتاتورك :

مؤسس تركيا الحديثة، وواضع أسس العلمانية التركية .

مادلين أولبرايت :

وزيرة الخارجية الأمريكية فى عهد رئاسة «بيل كلنتون» .

تيد هوندرش :

كاتب وفيلسوف كندى - بريطانى كتب فى موضوع الصهيونية .

جورج جالووى :

عضو حزب العمال البريطانى الذى اشتهر بوقوفه ضد الحرب على العراق وبحملاته التضامنية مع الشعب العراقى .

تيودور هيرتزل :

مؤسس الصهيونية الحديثة، ترأس أول مؤتمر للحركة الصهيونية فى مدينة بازل السويسرية فى نهاية القرن التاسع عشر .

كولن باول :

أول وزير خارجية أمريكى من أصول غير أوروبية .

ديزمونت توتو :

القس ديزموند توتو من أشهر القيادات الدينية فى جنوب أفريقيا الذين ناضلوا ضد التفرقة العنصرية ضد حكومة الأبارتهايد البيضاء البائدة .

هيلموت كول :

مستشار ألمانى سابق ، وعضو حزب الديموقراطيين المسيحيين (CDU)، اشتهر بدوره في الوحدة الألمانية ؛ حيث أطلق عليه مستشار الوحدة الألمانية .

هايو ماير :

كاتب يهودى هولندى مولود فى ألمانيا، من المعادين للصهيونية، وهو من الناجين من المحرقة النازية، ويحمل الوشم رقم ١٧٩٦٧٩، له عديد من المؤلفات ضد الصهيونية .

إستر شابيرا :

صحفية أنتجت البرنامج الذى ادعى فيه أن «محمد الدرة» سقط بالرصاص الفلسطينى .

وليم كوهين :

وزير دفاع أمريكى يهودى، تولى منصبه فى عهد رئاسة الرئيس «بيل كلنتون» .

فيكتور روكاريس :

مدير البرنامج فى محطة «أرتى» الثقافية التى تبث باللغتين الألمانية والفرنسية .

فيكتوريا فالتس :

- باحثة وخبيرة فى شئون الإستيطان اليهودى فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ، تعمل محاضرة فى جامعة دورتموند الألمانية .

فيليتسيا لانجر :

محامية إسرائيلية تقدمية ، غادرت إسرائيل، تعمل وتعيش فى ألمانيا، اشتهرت بدفاعها عن الأسرى الفلسطينيين فى سجون الاحتلال الإسرائيلى .

فرانك فيشر :

طبيب أطفال ألمانى متزوج من فلسطينية من بيت لحم، عاش فيها، وسقط على أرضها برصاص الجيش الإسرائيلى أثناء قيامه بواجبه .

راحيل كورى :

ناشطة سلام أمريكية سقطت على أرض رفح ؛ حيث داستها جرافة اسرائيلية أثناء دفاعها عن بيوت الفلسطينيين .

إسحاق رابين :

رئيس وزراء إسرائيل الأسبق الذى قاد عملية أوسلو مع الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات . اغتيل على يد يهودى متطرف يدعى «يغئال

أمير» بعد حملة التحريض التى قادتها الأوساط اليمينية الإسرائيلية ضده متهمة إياه بالتفريط .

إيلان بابه :

أحد نشطاء السلام الإسرائيليين المعادين للصهيونية، وهو بروفسور فى جامعة حيفا، وببحوثه العلمية أثبت أن القرية الفلسطينية الطنطورة أبيدت بمجزرة مثلما حصل فى دير ياسين عام ١٩٤٨ .

دكتور أورى دافيز :

باحث ومحاضر جامعى وعضو منظمة مقاومة الأبارتهيد الإسرائيلى ضد الفلسطينيين، تنازل عن بيته للفلسطينيين تخليصًا للضمير، ويسكن فى قرية سخنين العربية .

رونى كاسريلس :

وزير المياه والغابات فى حكومة جنوب أفريقيا، وأحد نشطاء حركة التحرير الجنوب الأفريقية .

المؤلف فى سطور :

جمال قارصلى

ولد فى سوريا فى مدينة «منبج» ، وقضى سنوات عمره الأولى بها وسط الثقافة العربية التى تشبع بها، ثم هاجر إلى ألمانيا ؛ حيث أتم دراسته الجامعية وعاش وعمل فيها حتى أصبحت هى الأخرى وطنًا له .

درس النائب جمال قارصلى هندسة التخطيط العمرانى فى جامعة دورتموند ، وحصل على درجة الماچستير من نفس الكلية ، وعمل خلال دراسته وبعدها فى مجال الترجمة فى مكتبه الخاص للترجمة، وهو متزوج من إيطالية، وأب لابنتين هما فاطمة وصوفيا ، وابن اسمه سامي.

وقد أعلن قارصلى فى تاريخ ٢٠٠٢/١٠/١٦م عن نيته تأسيس حزب سياسى ألمانى تحت اسم «فاكت» ، شعاره "حرية، عمل، ثقافة، شفافية»، وتم تأسيس هذا الحزب فى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٢٩ ، تم انتخابه رئيسًا له من قبل هيئة المؤتمر التأسيسى .

المترجم فى سطور :

نمر عاروى

ولد فى عارورة – رام الله – بتاريخ ٢٢/١٢/١٩٦٥

حصل على الثانوية العامة من مدرسة سنجل الثانوية ١٩٨٥

التحق بجامعة بيت لحم ، وانتقل منها إلى جامعة نجاح الوطنية فى نابلس لدراسة العلوم الطبيعية .

بعد اشتعال انتفاضة عام ١٩٨٧ وإغلاق الجامعات المحلية فى المدن الفلسطينية سافر إلى ألمانيا بغرض الدراسة ، ودرس فى جامعة دورتموند هندسة التقنيات الكيميائية ، وحصل على شهادة الماجستير من نفس الجامعة .

يعمل مستشاراً للعلاقات العامة والشئون الإعلامية العربية فى مكتب النائب جمال قارصلى فى برلمان شمال الراين ويستفاليا .

مقدمة الكتاب فى سطور :

سحر صبحى عبد الحكيم

أستاذ الثقافات الغربية في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب ، جامعة القاهرة .

مهتمة بمجال الدراسات الثقافية ، خاصة العلاقات بين الثقافات وعلاقاتها بالسياسات التى تتفاعل معها فتؤثر فيها وتوجهها أو تتأثر وتتوجه بها . لها العديد من الأبحاث فى مجال دراسات ما بعد الاستعمار، والدراسات النسوية .

وهى عضو فى اللجنة العليا لمشروعات القراءة للجميع ومكتبة الأسرة بمصر وعضو مؤسس فى مؤسسة ASTENE لدراسة آداب الرحلة والعلاقات الثقافية بالمملكة المتحدة ، كما أنها عضو فى المجلس القومى للمرأة فى القاهرة وعضو مؤسس فى مؤسسة المرأة والذاكرة بالقاهرة أيضًا .

إبراهيم نافع

- رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير الأهرام .
- رئيس اتحاد الصحفيين العرب .
- رئيس المنظمة العربية لمناهضة التمييز .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١	اللغة العليا	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣	التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥	الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	ت: بإشراف أحمد عتمان
١٧	مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨	رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنة
٢٩	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢	الإنقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤	الرواية العربية	روجر ألن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥	الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
٣٦	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم

٣٨	نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩	الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠	قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢	عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	ت : المهدى أخريف
٤٤	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥	التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢	لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧	مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
٧٢	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣	نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش

٧٦	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣	مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦	طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧	نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠	وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد عبد اللطيف
٩٦	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٩٩	تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١	النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣	قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤	أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبـة	ت : محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١	المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣	راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان

١١٤	مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت: نسيم مجلي
١١٥	غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت: سمية رمضان
١١٦	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت: نهاد أحمد سالم
١١٧	المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت: منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨	النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت: لميس النقاش
١١٩	النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنبل	ت بإشراف: رءوف عباس
١٢٠	الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت: نخبة من المترجمين
١٢١	الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	ت: محمد الجندي وإيزابيل كمال
١٢٢	نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت: منيرة كروان
١٢٣	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقولاي إيفانوف	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤	الفجر الكاذب	جون جراي	ت: أحمد فؤاد بلبع
١٢٥	التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديڤي	ت: سمحة الخولي
١٢٦	فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت: عبد الوهاب علوب
١٢٧	إرهاب	صفاء فتحي	ت: بشير السباعي
١٢٨	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت: أميرة حسن نويرة
١٢٩	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت: محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت: شوقي جلال
١٣١	مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت: لويس بقطر
١٣٢	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت: عبد الوهاب علوب
١٣٣	الخوف من المرايا	طارق علي	ت: طلعت الشايب
١٣٤	تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت: أحمد محمود
١٣٥	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت: ماهر شفيق فريد
١٣٦	فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت: سحر توفيق
١٣٧	مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت: كاميليا صبحي
١٣٨	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تاروني	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩	پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت: مصطفى ماهر
١٤٠	حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت: أمل الجبوري
١٤١	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت: نعيم عطية
١٤٢	الإسكندرية: تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت: حسن بيومي
١٤٣	قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت: عدلي السمري
١٤٤	صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت: سلامة محمد سليمان
١٤٥	موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت: أحمد حسان
١٤٦	الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت: علي عبدالرءوف البمبي
١٤٧	خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت: عبدالغفار مكاوي
١٤٨	القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت: علي إبراهيم منوفي
١٤٩	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت: أسامة إسبر
١٥٠	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١	هوية فرنسا (مج ٢، جـ١)	فرنان برودل	ت: بشير السباعي
١٥٢	عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت: محمد محمد الخطابي

١٥٣	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبدالله محمود
١٥٤	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧	خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبدالعزيز بقوش
١٥٨	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩	الإيديولوچية	ديڤيد هوكس	ت: إبراهيم فتحى
١٦٠	آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومى
١٦١	من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت: زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢	تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣	موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت: نبيل سعد
١٦٥	حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	ت: سهير المصادفة
١٦٦	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت: محمد محمود أبو غدير
١٦٧	فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت: شكرى محمد عياد
١٦٨	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت: شكرى محمد عياد
١٦٩	إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت: شكرى محمد عياد
١٧٠	الطريق	ميغيل دليبيس	ت: بسام ياسين رشيد
١٧١	وضع حد	فرانك بيجو	ت: هدى حسين
١٧٢	حجر الشمس	مختارات	ت: محمد محمد الخطابى
١٧٣	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤	صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت: أحمد محمود
١٧٥	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
١٧٧	أنطون تشيخوف	هنرى ترواي	ت: حصة إبراهيم المنيف
١٧٨	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت: محمد حمدى إبراهيم
١٧٩	حكايات أيسوب	أيسوب	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠	قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت: سليم عبد الأمير حمدان
١٨١	النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	ت: محمد يحيى
١٨٢	العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ت: ياسين طه حافظ
١٨٣	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت: فتحى العشرى
١٨٤	القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت: دسوقى سعيد
١٨٥	أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧	الأرضة	بُزرج علوى	ت:محمد علاء الدين منصور
١٨٨	موت الأدب	ألفين كرنان	ت:بدر الديب
١٨٩	العمى والبصيرة	بول دى مان	ت:سعيد الغانمى
١٩٠	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت:محسن سيد فرجانى
١٩١	الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد

١٩٢ سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	ت:محمود سلامة علاوى
١٩٣ عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت:محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت: ماهر شفيق فريد
١٩٥ شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت:محمد علاء الدين منصور
١٩٦ المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت:أشرف الصباغ
١٩٧ الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وآخرون	ت:إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت: فخرى لبيب
٢٠١ الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٢٠٢ تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت: أحمد محمود هويدى
٢٠٥ الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	ت: أحمد مستجير
٢٠٦ الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت: على يوسف على
٢٠٧ ليل أفريقى	رامون خوتاسندير	ت: محمد أبو العطا
٢٠٨ شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت: محمد أحمد صالح
٢٠٩ السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٠ مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت: محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣ مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	ت: سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت: محمد محمود محى الدين
٢١٥ سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢١٦ جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٧ مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	ت: نادية البنهاوى
٢١٨ لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	ت: على إبراهيم منوفى
٢١٩ بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت: طلعت الشايب
٢٢٠ الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت: على يوسف على
٢٢١ شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت: رفعت سلام
٢٢٢ فرانز كافكا	رونالد جراى	ت: نسيم مجلى
٢٢٣ العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت: السيد محمد نفادى
٢٢٤ دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت: منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥ حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت: السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦ أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت: طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريا ديف بوركى	ت: السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨ علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت:مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩ مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	ت: أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت: مصطفى إبراهيم فهمى

٢٣١ الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت: جمال عبدالرحمن
٢٣٢ ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ فكرة الاضمحلال	آرثر هومان	ت: طلعت الشايب
٢٣٤ الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت: فؤاد محمد عكود
٢٣٥ ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ الولاية	ميشيل تود	ت: أحمد الطيب
٢٣٧ مصر أرض الوادى	روبين فيرين	ت: عنايات حسين طلعت
٢٣٨ العولمة والتحرير	الانكتاد	ت: ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١ فى انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ت: ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢ سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت: صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣ تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	ت: على عبدالرءوف اليمبى
٢٤٤ الغليان	لاورا إسكيبيل	ت: نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت: توفيق على منصور
٢٤٦ مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	ت: على إبراهيم منوفى
٢٤٧ الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	ت: محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨ حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت: عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩ لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت: رفعت سلام
٢٥٠ علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ت: ماجدة محسن أباظة
٢٥١ موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢ رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت: على بدران
٢٥٣ تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	ت: حسن بيومى
٢٥٤ الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦ ديكارت	ديف روبنسون وكريس جرات	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت: محمود سيد أحمد
٢٥٨ الغجر	سير أنجوس فريزر	ت: عُبادة كُحيلة
٢٥٩ مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	اقلام مختلفة	ت: فاروجان كازانجيان
٢٦٠ موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردن مارشال	ت بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١ رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت: محمد أبو العطا
٢٦٣ الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت: على يوسف على
٢٦٤ إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	ت: لويس عوض
٢٦٥ روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت: لويس عوض
٢٦٦ مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت: عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧ فن الرواية	ميلان كونديرا	ت: بدر الدين عرودكى
٢٦٨ ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن

٢٧٠	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن
٢٧١	الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	ت: شوقى جلال
٢٧٢	الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	ت: إبراهيم سلامة
٢٧٣	الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	ت: عنان الشهاوى
٢٧٤	السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	ت: محمود على مكى
٢٧٥	ت. س إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت: ماهر شفيق فريد
٢٧٦	فنون السينما	فرانك جوتيران	ت: عبد القادر التلمسانى
٢٧٧	الجينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت: أحمد فوزى
٢٧٨	البدايات	إسحق عظيموف	ت: ظريف عبدالله
٢٧٩	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	ت: طلعت الشايب
٢٨٠	من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت: سمير عبدالحميد
٢٨١	الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت: جلال الحفناوى
٢٨٢	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت: سمير حنا صادق
٢٨٣	السهل يحترق	خوان رولفو	ت: على اليمبى
٢٨٤	هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت: أحمد عتمان
٢٨٥	رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت: سمير عبد الحميد
٢٨٦	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢٨٧	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	ت: محمد يحيى وآخرون
٢٨٨	الفن الروائى	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطى
٢٨٩	ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت: أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٢	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٣	مقدمة للأدب العربى	روجر ألن	ت: نخبة من المترجمين
٢٩٤	فن الشعر	بوالو	ت: رجاء ياقوت صالح
٢٩٥	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت: بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦	مكبث	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوى
٢٩٧	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوانى	ت: ماجدة محمد أنور
٢٩٨	مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٩٩	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت: هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢	فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣	بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤	ماركس	ريوس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥	الجلد	كروزيو مالابارته	ت: صلاح عبد الصبور
٣٠٦	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	ت: نبيل سعد
٣٠٧	الشعور	ديفيد بابينو	ت: محمود محمد أحمد
٣٠٨	علم الوراثة	ستيف جونز	ت: ممدوح عبد المنعم أحمد

٣٠٩	الذهن والمخ	أنجوس چيلاتى	ت: جمال الجزيرى
٣١٠	يونج	ناجى هيد	ت: محيى الدين محمد حسن
٣١١	مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت: فاطمة إسماعيل
٣١٢	روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت: أسعد حليم
٣١٣	أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت: عبدالله الجعيدى
٣١٤	الفن كعدم	جينس مينيك	ت: هويدا السباعى
٣١٥	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت: كاميليا صبحى
٣١٦	محاكمة سقراط	آ.ف. ستون	ت: نسيم مجلى
٣١٧	بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	ت: أشرف الصباغ
٣١٨	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت: أشرف الصباغ
٣١٩	صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت: حسام نايل
٣٢٠	لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٢١	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	ت: نخبة من المترجمين
٣٢٢	وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو يوجين كليتباور	ت: خالد مفلح حمزة
٣٢٣	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت: هانم سليمان
٣٢٤	اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت: محمود سلامة علاوى
٣٢٥	عالم الآثار	فيليب بوسان	ت: كرستين يوسف
٣٢٦	المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت: حسن صقر
٣٢٧	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	ت: توفيق على منصور
٣٢٨	يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٢٩	رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت: محمد عيد إبراهيم
٣٣٠	كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت: سامى صلاح
٣٣١	عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت: سامية دياب
٣٣٢	القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	ت: على إبراهيم منوفى
٣٣٣	الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت: بكر عباس
٣٣٤	لقطات من المستقبل	آرثر س كلارك	ت: مصطفى فهمى
٣٣٥	عصر الشك	ناتالى ساروت	ت: فتحى العشرى
٣٣٦	متون الأهرام	نصوص قديمة	ت: حسن صابر
٣٣٧	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٣٣٨	نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	ت: جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٤٠	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت: فخرى لبيب
٣٤١	قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت: حسن حلمى
٣٤٢	سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٤٣	العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت: سمير عبد ربه
٣٤٤	الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت: سمير عبد ربه
٣٤٥	الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦	سحر مصر	رشاد رشدى	ت: جمال الجزيرى
٣٤٧	الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت: بكر الحلو

٣٤٨ المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩ دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرون	ت: أحمد عمر شاهين
٣٥٠ بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت: عطية شحاتة
٣٥١ مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت: أحمد الانصارى
٣٥٢ قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت: نعيم عطية
٣٥٣ الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدوناند	ت: على إبراهيم منوفى
٣٥٤ الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدوناند	ت: على إبراهيم منوفى
٣٥٥ التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت: محمود سلامة علاوى
٣٥٦ الميراث المر	بول سالم	ت: بدر الرفاعى
٣٥٧ متون هيرميس	نصوص قديمة	ت: عمر الفاروق عمر
٣٥٨ أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت: مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت: حبيب الشارونى
٣٦٠ أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت: ليلى الشربينى
٣٦١ التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت: عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ تلميذ بابنبيرج	هاينرش شبورال	ت: سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	ت: صبرى محمد حسن
٣٦٤ حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت: نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ سأم باريس	شارل بودلير	ت: محمد أحمد حمد
٣٦٦ نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت: مصطفى محمود محمد
٣٦٧ القلم الجرىء	نخبة	ت: البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨ المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت: عابد خزندار
٣٦٩ المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت: فوزية العشماوى
٣٧٠ الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت: فاطمة عبدالله محمود
٣٧١ المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢ عاش الشباب	وانغ مينغ	ت: وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣ كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت: على إبراهيم منوفى
٣٧٤ اليوم السادس	أندريه شديد	ت: حمادة إبراهيم
٣٧٥ الخلود	ميلان كونديرا	ت: خالد أبو اليزيد
٣٧٦ الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت: إدوار الخراط
٣٧٧ تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ المسافر	محمد إقبال	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٣٧٩ ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت: جمال عبدالرحمن
٣٨٠ حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت: شيرين عبدالسلام
٣٨١ أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت: رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت: أحمد محمد نادى
٣٨٣ هدية الحجاز	محمد إقبال	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤ القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت: إيزابيل كمال
٣٨٥ مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦ دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت: ريهام حسين إبراهيم

٣٨٧ أغنيات وسوناتات	جون دن	ت: بهاء جاهين
٣٨٨ مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠ الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت: عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت: منى الدروبى
٣٩٢ مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	ت: عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣ فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت: زينب محمود الخضيرى
٣٩٤ القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت: هاشم أحمد محمد
٣٩٥ آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت: سليم حمدان
٣٩٦ السافاك	تقى نجارى راد	ت: محمود سلامة علاوى
٣٩٧ نيتشه	لورانس جين	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨ سارتر	فيليب تودى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩ كامى	ديفيد ميروفتس	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠ مومو	مشيائيل إنده	ت: باهر الجوهرى
٤٠١ الرياضيات	زيادون ساردر	ت: ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣ ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت: عماد حسن بكر
٤٠٤ تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت: ظبية خميس
٤٠٥ إيزابيل	أندريه جيد	ت: حمادة إبراهيم
٤٠٦ المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت: جمال عبد الرحمن
٤٠٧ الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت: طلعت شاهين
٤٠٨ معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت: عنان الشهاوى
٤٠٩ انتصار السعادة	برتراند راسل	ت: إلهامى عمارة
٤١٠ خلاصة القرن	كارل بوبر	ت: الزواوى بغورة
٤١١ همس من الماضى	جينيفر أكرمان	ت: أحمد مستجير
٤١٢ تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	ت: نخبة
٤١٣ أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت: محمد البخارى
٤١٤ الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت: أمل الصبان
٤١٥ صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت: أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦ مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت: مصطفى بدوى
٤١٧ تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨ سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت: عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ العصر الذهبى للإسكندرية	جون مايو	ت: نسيم مجلى
٤٢٠ مكرو ميجاس	فولتير	ت: الطيب بن رجب
٤٢١ الولاء والقيادة	روى متحدة	ت: أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	نخبة	ت: عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣ إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت: وحيد النقاش
٤٢٤ لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامى	ت: محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	ت: محمود سلامة علاوى

٤٢٦	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧	باندراس الطاغية	باي إنكلان	ت: ثريا شلبي
٤٢٨	الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت: محمد أمان صافي
٤٢٩	هيجل	ليود سبنسر وأندرزجي كروز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠	كانط	كرستوفر وانت وأندزجي كليموفسكي	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١	فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢	ماكياڤللي	باتريك كيري وأوسكار زاريت	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣	جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت: حمدي الجابري
٤٣٤	الرومانسية	دونكان هيث وجودن بورهام	ت: عصام حجازي
٤٣٥	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت: ناجي رشوان
٤٣٦	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧	رحالة هندي في بلاد الشرق	شبلي النعماني	ت: جلال السعيد الحفناوي
٤٣٨	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت: عايدة سيف الدولة
٤٣٩	موت المرابي	صدر الدين عيني	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠	قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت: محمد طارق الشرقاوي
٤٤١	رب الأشياء الصغيرة	أروندانى روى	ت: فخري لبيب
٤٤٢	حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت: ماهر جويجاتي
٤٤٣	اللغة العربية	كيس فرستيغ	ت: محمد طارق الشرقاوي
٤٤٤	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت: صالح علماني
٤٤٥	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت: محمد محمد يونس
٤٤٦	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت: أحمد محمود
٤٤٧	نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨	علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩	الحركة النسائية	نخبة	ت: جمال الجزيري
٤٥٠	ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	ت: جمال الجزيري
٤٥١	الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢	لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناتزي وأوسكار زاريت	ت: محيي الدين مزيد
٤٥٣	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت: حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت: سوزان خليل
٤٥٥	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	ت: محمود سيد أحمد
٤٥٦	لا تنسني	مريم جعفري	ت: هويدا عزت محمد
٤٥٧	النساء في الفكر السياسي الغربي	سوزان موللر أوكين	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨	الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت: جمال عبد الرحمن
٤٥٩	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
٤٦٠	الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١	لكان	داريان ليدر وجودي جروفز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودي	ت: عبدالرشيد الصادق محمودي
٤٦٣	الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت: كمال السيد
٤٦٤	ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتي	ت: حصة إبراهيم المنيف

٤٦٥	قصص اليهود	لويس جنزبرج	ت: جمال الرفاعي
٤٦٦	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت: فاطمة محمود
٤٦٧	التفكير السياسي	ستيفين ديلو	ت: ربيع وهبة
٤٦٨	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصاري
٤٦٩	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت: مجدي عبدالرازق
٤٧٠	الأراضي والجودة البيئية	نخبة	ت: محمد السيد الننة
٤٧١	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	نخبة	ت: عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢	دون كيخوتي (القسم الأول)	ميجيل دي ثربانتس سابيدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٣	دون كيخوتي (القسم الثاني)	ميجيل دي ثربانتس سابيدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٤	الأدب والنسوية	بام موريس	ت: سهام عبدالسلام
٤٧٥	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت: عادل هلال عناني
٤٧٦	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسي	ماريلين بوث	ت: سحر توفيق
٤٧٧	تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت: أشرف كيلاني
٤٧٨	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لي شي دونج	ت: عبد العزيز حمدي
٤٧٩	المقهـــى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت: عبد العزيز حمدي
٤٨٠	تساي ون جي (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت: عبد العزيز حمدي
٤٨١	عباءة النبي	روى متحدة	ت: رضوان السيد
٤٨٢	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت: فاطمة محمود
٤٨٣	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت: أحمد الشامي
٤٨٤	جمالية التلقي	هانسن روبيرت ياوس	ت: رشيد بنحدو
٤٨٥	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوي	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت: عبدالحليم عبدالغني رجب
٤٨٧	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادي	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨	الحب الذي كان وقصائد أخرى	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩	هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسِّرل	ت: محمود رجب
٤٩٠	أسمار الببغاء	محمد قادري	ت: عبد الوهاب علوب
٤٩١	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقي	نخبة	ت: سمير عبد ربه
٤٩٢	محمد علي مؤسس مصر الحديثة	جي فارجيت	ت: محمد رفعت عواد
٤٩٣	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت: محمد صالح الضالع
٤٩٤	كتاب الموتى (الخروج في النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت: شريف الصيفي
٤٩٥	اللوبي	إدوارد تيفان	ت: حسن عبد ربه المصري
٤٩٦	الحكم والسياسة في أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولي	ت: نخبة
٤٩٧	العلمانية والنوع والدولة في الشرق الأوسط	نادية العلي	ت: مصطفى رياض
٤٩٨	النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	ت: أحمد علي بدوي
٤٩٩	تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت: فيصل بن خضراء
٥٠٠	في طفولتي (دراسة في السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكي	ت: طلعت الشايب
٥٠١	تاريخ النساء في الغرب	أرثر جولد هامر	ت: سحر فراج
٥٠٢	أصوات بديلة	هدى الصدة	ت: هالة كمال
٥٠٣	مختارات من الشعر الفارسي الحديث	نخبة	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم

٥٠٤ كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	ت: إسماعيل المصدق
٥٠٥ كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	ت: إسماعيل المصدق
٥٠٦ ربما كان قديساً	آن تيلر	ت: عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧ سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	ت: شوقى فهيم
٥٠٨ المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩ الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	آدم صبرة	ت: قاسم عبده قاسم
٥١٠ الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	ت: عبدالرازق عيد
٥١١ كوكب مرقّع	آن تيلر	ت: عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢ كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	ت: جمال عبد الناصر
٥١٣ العلم الجسور	تيد أنتون	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤ مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	ت: مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥ من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	ت: فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦ إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	ت: صبرى محمد حسن
٥١٧ نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	ت: سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨ استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	ت: هاشم أحمد محمد
٥١٩ محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٥٢٠ الولع بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	ت: أمل الصبان
٥٢١ قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	ت: عبدالوهاب بكر
٥٢٢ إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	ت: على إبراهيم منوفى
٥٢٣ الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	ت: على إبراهيم منوفى
٥٢٤ الملك لير	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوى
٥٢٥ موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	ت: نادية رفعت
٥٢٦ علم السياسة البيئية	ستيفن كرول وليم رانكين	ت: محيى الدين مزيد
٥٢٧ كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	ت: جمال الجزيرى
٥٢٨ تروتسكى والماركسية	طارق على وفلْ إيفانز	ت: جمال الجزيرى
٥٢٩ بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	ت: حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠ مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	ت: عمر الفاروق عمر
٥٣١ ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	ت: صفاء فتحى
٥٣٢ المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	ت: بشير السباعى
٥٣٣ تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	ت: محمد الشرقاوى
٥٣٤ الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	ت: حمادة إبراهيم
٥٣٥ مخزن الأسرار	نظامى الكنجوى	ت: عبدالعزيز بقوش
٥٣٦ الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون	ت: شوقى جلال
٥٣٧ الحب والحرية	نخبة	ت: عبدالغفار مكاوى
٥٣٨ النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	ت: محمد الحديدى
٥٣٩ خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	ت: محسن مصيلحى
٥٤٠ توجهات بريطانية – شرقية	السير رونالد ستورس	ت: رءوف عباس
٥٤١ هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	ت: مروة رزق
٥٤٢ قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	ت: نعيم عطية

٥٤٣	السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	ت: وفاء عبدالقادر
٥٤٤	ميلانى كلاين	نخبة	ت: حمدى الجابرى
٥٤٥	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	ت: عزت عامر
٥٤٦	ريموس	ت. ب. وايزمان	ت: توفيق على منصور
٥٤٧	بارت	فيليب ثودى وآن كورس	ت: جمال الجزيرى
٥٤٨	علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	ت: حمدى الجابرى
٥٤٩	علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	ت: جمال الجزيرى
٥٥٠	شكسبير	نيك جروم وبيرو	ت: حمدى الجابرى
٥٥١	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	ت: سمحة الخولى
٥٥٢	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	ت: على عبد الروف البمبى
٥٥٣	مدخل الشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	ت: رجاء ياقوت
٥٥٤	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	ت: عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	ت: أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦	چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	ت: حمدى الجابرى
٥٥٧	الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨	الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩	الماس الزائف	تشا تشاجى	ت: عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠	صلصلة الجرس	نخبة	ت: جلال السعيد الحفناوى
٥٦١	جناح جبريل	محمد إقبال	ت: جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢	بلايين وبلايين	كارل ساجان	ت: عزت عامر
٥٦٣	ورود الخريف	خاثينتو بينابينتى	ت: صبرى محمدى التهامى
٥٦٤	عُش الغريب	خاثينتو بينابينتى	ت: صبرى محمدى التهامى
٥٦٥	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا. ج. جيرنر	ت: أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦	تاريخ أوربا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	ت: على السيد على
٥٦٧	الوطن المغتصب	مايكل رايس	ت: إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	ت: عبد السلام حيدر
٥٦٩	موقع الثقافة	هومى. ك. بابا	ت: ثائر ديب
٥٧٠	دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	ت: يوسف الشارونى
٥٧١	تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	ت: السيد عبد الظاهر
٥٧٢	الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	ت: كمال السيد
٥٧٣	فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	ت: جمال الجزيرى
٥٧٤	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	ت: علاء الدين عبد العزيز السباعى
٥٧٥	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	ت: أحمد محمود
٥٧٦	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ت: ناهد العشرى محمد
٥٧٧	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	ت: محمد قدرى عمارة
٥٧٨	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	ت: محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩	تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	ت: محى الدين مزيد
٥٨٠	دائرة المعارف الدولية	جون فيزر وبول سيترجز	ت: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١	الحمقى يموتون	ماريو بوزو	ت: سليم عبد الأمير حمدان

٥٨٢ مرايا الذات	هوشنك كلشيرى	ت: سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣ الجيران	أحمد محمود	ت: سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤ سفر	محمود دولت آبادى	ت: سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥ الأمير احتجاب	هوشنك كلشيرى	ت: سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦ السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	ت: سهام عبد السلام
٥٨٧ تاريخ تطور الفكر الصينى	نخبة	ت: عبدالعزيز حمدى
٥٨٨ أمنحوتب الثالث	آنييس كابرول	ت: ماهر جويجاتي
٥٨٩ تمبكت العجيبة	فيلكس ديبوا	ت: عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠ أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	ت: محمود مهدي عبدالله
٥٩١ الشاعر والمفكر	هوراتيوس	ت: على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢ الثورة المصرية	محمد صبرى السوربونى	ت: مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣ قصائد ساحرة	بول فاليرى	ت: بكر الحلو
٥٩٤ القلب السمين	سوزانا تامارو	ت: أمانى فوزى
٥٩٥ الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوابى بانولى	ت: نخبة
٥٩٦ الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	ت: إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧ مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	ت: جمال عبدالرحمن
٥٩٨ مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	ت: بيومى على قنديل
٥٩٩ فلسفة الشرق	هرداد مهرين	ت: محمود سلامة علاوى
٦٠٠ الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	ت: مدحت طه
٦٠١ النسوية والمواطنة	ريان فوت	ت: أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢ ليوتار نحو فلسفة ما بعد حداثية	جيمس وليامز	ت: إيمان عبدالعزيز
٦٠٣ النقد الثقافى	آرثر أيزابيرجر	ت: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤ الكوارث الطبيعية (جـ١)	باتريك ل. آبوت	ت: توفيق على منصور
٦٠٥ مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروفسكى الصغير	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦ قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	ت. محمود إبراهيم السعدنى
٦٠٧ قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	ت. صبرى محمد حسن
٦٠٨ قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هاردى سينت فيلبى	ت:صبرى محمد حسن
٦٠٩ الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	ت: شوقى جلال
٦١٠ العمارة المدجنة	رفائيل لوبيث جوثمان	ت: على إبراهيم منوفى
٦١١ النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	ت: فخرى صالح
٦١٢ رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	ت: محمد محمد يونس
٦١٣ السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	ت: محمد فريد حجاب
٦١٤ بيت الأقصر الكبير	فوزية أسعد	ت: منى قطان
٦١٥ عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد	أليس بسيرينى	ت: محمد رفعت عواد
٦١٦ أساطير بيضاء	روبرت يانج	ت: أحمد محمود
٦١٧ الفولكلور والبحر	هوراس بيك	ت: أحمد محمود
٦١٨ نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	ت: جلال البنا
٦١٩ مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	ت: عايدة الباجورى
٦٢٠ السلام الصليبى	توماش ماستناك	ت: بشير السباعى

٦٢١ النوبة المعبر الحضاري	وليم. ي. آدمز	ت: فؤاد عكود
٦٢٢ أشعار من عالم اسمه الصين	آي تشينغ	ت: أمير نبيه وعبدالرحمن حجازي
٦٢٣ نوادر جحا الإيراني	سعيد قانعي	ت: يوسف عبدالفتاح
٦٢٤ أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	ت: عمر الفاروق
٦٢٥ الجرح السري	جان جينيه	ت: محمد برادة
٦٢٦ مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	ت: توفيق علي منصور
٦٢٧ حكايات إيرانية	نخبة	ت: عبدالوهاب علوب
٦٢٨ أصل الأنواع	تشارلس داروين	ت: مجدي محمود المليجي
٦٢٩ قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	ت: عزة الخميسي
٦٣٠ سيرتي الذاتية	أحمد بللو	ت: صبري محمد حسن
٦٣١ مختارات من الشعر الأفريقي المعاصر	نخبة	ت بإشراف: حسن طلب
٦٣٢ المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا	دولورس برامون	ت: رانيا محمد
٦٣٣ الحب وفنونه	نخبة	ت: حمادة إبراهيم
٦٣٤ مكتبة الإسكندرية	روي ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	ت: مصطفى البهنساوي
٦٣٥ التثبيت والتكيف في مصر	جودة عبد الخالق	ت: سمير كريم
٦٣٦ حج يولندة	جناب شهاب الدين	ت: سامية محمد جلال
٦٣٧ مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	ت: بدر الرفاعي
٦٣٨ الديمقراطية والشعر	روبرت بن وارين	ت: فؤاد عبد المطلب
٦٣٩ فندق الأرق	تشارلز سيميك	ت: أحمد شافعي
٦٤٠ الكسياد	الأميرة أناكومنينا	ت: حسن حبشي
٦٤١ برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	ت: محمد قدري عمارة
٦٤٢ داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ت: ممدوح عبد المنعم
٦٤٣ سفرنامه حجاز	عبد الماجد الدريابادي	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤ العلوم عند المسلمين	هوارد د. تيرنر	ت: فتح الله الشيخ
٦٤٥ السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف	ت: عبد الوهاب علوب
٦٤٦ قصة الثورة الإيرانية	سپهر ذبيح	ت: عبد الوهاب علوب
٦٤٧ رسائل من مصر	جون نينيه	ت: فتحي العشري
٦٤٨ بورخيس	بياتريث سارلو	ت: خليل كلفت
٦٤٩ الخوف وقصص خرافية أخرى	نخبة	ت: سلوى لطفي
٦٥٠ الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	ت: عبد الوهاب علوب
٦٥١ ديليسبس الذي لا نعرفه	وثائق قديمة	ت: أمل الصبان
٦٥٢ آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	ت: حسن نصر الدين
٦٥٣ مدرسة الطغاة	إيريش كستنر	ت: سمير جريس
٦٥٤ أساطير شعبية من أوزبكستان	نصوص قديمة	ت: عبد الرحمن الخميسي
٦٥٥ أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	ت: حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦ خبز الشعب والأرض الحمراء	ألفونسو سامستري	ت: ممدوح البستاوي
٦٥٧ محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا - أرينال	ت: خالد عباس
٦٥٨ حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	ت: صبري التهامي
٦٥٩ قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	ت: عبداللطيف عبدالحليم

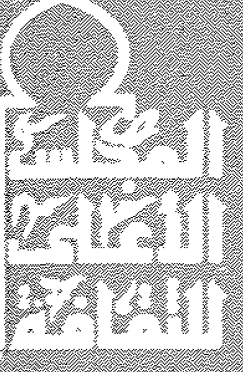
٦٦٠	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	ت: هاشم أحمد محمد
٦٦١	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	ت: صبرى التهامى
٦٦٢	رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	ت: صبرى التهامى
٦٦٣	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	ت: أحمد شافعى
٦٦٤	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان – إنا راى هارك	ت: عصام زكريا
٦٦٥	عوالم أخرى	بول دافيز	ت: هاشم أحمد محمد
٦٦٦	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	ت: مدحت الجيار
٦٦٧	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	ت: على ليلة
٦٦٨	ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون – ماسايو ميوشى	ت: ليلى الجبالى
٦٦٩	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	ت: نسيم مجلى
٦٧٠	أشعار جوستاف أودلفو	جوستاف أودلفو	ت: ماهر البطوطى
٦٧١	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	ت: على عبدالأمير صالح
٦٧٢	مختارات قصائد فرنسية للأطفال	نخبة	ت: إبتهال سالم
٦٧٣	ضرب الكليم	محمد إقبال	ت: جلال السعيد الحفناوى
٦٧٤	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	ت: محمد علاء الدين منصور
٦٧٥	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	ت بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	ت بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	ت: أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	ت: أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	ويليام شكسبير	ت: توفيق على منصور
٦٨٠	سنوات الطفولة	وول سوينكا	ت: سمير عبد ربه
٦٨١	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	ت: أحمد الشيمى
٦٨٢	نجوم حظر التجول الجديد	بن أوكرى	ت: صبرى محمد حسن
٦٨٣	سكين واحد لكل رجل	تى. م. ألوكو	ت: صبرى محمد حسن
٦٨٤	الأعمال القصصية (جـ١)	أوراثيو كيروجا	ت: رزق أحمد بهنسى
٦٨٥	الأعمال القصصية (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	ت: رزق أحمد بهنسى
٦٨٦	امرأة محاربة	ماكسين هونج كنجستون	ت: سحر توفيق
٦٨٧	محبوبة	فتانة حاج سيد جوادى	ت: ماجدة العنانى
٦٨٨	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	ت: فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩	الملف	تادووش روجيفيتش	ت: هناء عبد الفتاح
٦٩٠	محاكم التفتيش فى فرنسا	چوزيف ر. ستراير	ت: رمسيس عوض
٦٩١	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	دنيس براين	ت: رمسيس عوض
٦٩٢	الوجودية	ريتشارد أبيجانسي وأوسكار زاريت	ت: حمدى الجابرى
٦٩٣	القتل الجماعى: المحرقة	حاثيم برشيت وآخران	ت: جمال الجزيرى
٦٩٤	دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	ت: حمدى الجابرى
٦٩٥	رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦	روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧	أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨	عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	ت: إمام عبدالفتاح إمام

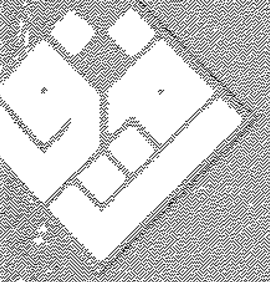
٦٩٩	التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زاراتى	ت: جمال الجزيرى
٧٠٠	حقيقة كاتب	ماريو فرجاش	ت: بسمة عبدالرحمن
٧٠١	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	ت: منى البرنس
٧٠٢	الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	ت: محمود علاوى
٧٠٣	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	ت: أمين الشواربى
٧٠٤	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	ت: محمد علاء الدين منصور وآخران
٧٠٥	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	ت: عبدالحميد مدكور
٧٠٦	الشفرة الوراثية وكتاب التحويلات	جونسون ف. يان	ت: عزت عامر
٧٠٧	فالتر بنيامين	نخبة	ت: وفاء عبدالقادر
٧٠٨	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	ت: رءوف عباس
٧٠٩	معنى الحياة	ألفريد آدلر	ت: عادل نجيب بشرى
٧١٠	الأطفال، التكنولوجيا والثقافة	يان هاتشباى وجوموران - إليس	ت: دعاء محمد الخطيب
٧١١	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	ت: هناء عبد الفتاح
٧١٢	الإلياذة (جـ١)	هوميروس	ت: سليمان البستانى
٧١٣	الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	ت: سليمان البستانى
٧١٤	حديث القلوب	لامنيه	ت: حنا صاوه
٧١٥	جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	ت: نخبة من المترجمين
٧١٦	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	ت: نخبة من المترجمين
٧١٧	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	ت: نخبة من المترجمين
٧١٨	جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	ت: نخبة من المترجمين
٧١٩	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	ت: نخبة من المترجمين
٧٢٠	جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	ت: نخبة من المترجمين
٧٢١	فلسفة المتكلمين فى الإسلام	هـ. أ. ولفسون	ت: مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢	الصفيحة وقصص أخرى	بشار كمال	ت: الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	ت: أحمد ثابت
٧٢٤	اليسار الفرويدى	بول روبنسون	ت: عبده الريس
٧٢٥	الاضطراب النفسى	جون فيتكس	ت: مى مقلد
٧٢٦	الموريسكيون فى الغرب	غييرمو غوثالبيس بوستو	ت: مروة محمد إبراهيم
٧٢٧	حلم البحر	باچين	ت: وحيد السعيد
٧٢٨	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	ت: أميرة جمعة
٧٢٩	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	ت: هويدا عزت
٧٣٠	حكايات من السهول الأفريقية	آن جات	ت: عزت عامر
٧٣١	النوع: الذكر والأنثى بين التمييز والاختلاف	نخبة	ت: محمد قدرى عمارة
٧٣٢	قصص بسيطة	إنجو شولتسه	ت: سمير جريس
٧٣٣	مأساة عطيل	وليم شيكسبير	ت: محمد مصطفى بدوى
٧٣٤	بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	ت: أمل الصبان
٧٣٥	فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	ت: محمود على مكى
٧٣٦	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة	هاورد زن	ت: شعبان مكاوى
٧٣٧	الكوارث الطبيعية (جـ٢)	باتريك ل. أبوت	ت: توفيق على منصور

٧٣٨	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية (جـ١)	جيرار دى جورج	ت: محمد عواد
٧٣٩	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر (جـ٢)	جيرار دى جورج	ت: محمد عواد
٧٤٠	خطابات القوة	بارى هندس	ت: مرفت ياقوت
٧٤١	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	ت: أحمد هيكل
٧٤٢	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	ت: رزق بهنسى
٧٤٣	الثقافة منظور داروينى	روبرت أونجر	ت: شوقى جلال
٧٤٤	ديوان الأسرار والرموز	محمد إقبال	ت: سمير عبد الحميد
٧٤٥	المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	ت: محمد أبو زيد
٧٤٦	تاريخ التحليل الاقتصادى	جوزيف . أ. شومبيتر	ت: حسن النعيمى
٧٤٧	المجاز فى لغة السينما	تريفور وايتوك	ت: إيمان عبد العزيز
٧٤٨	تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	ت: سمير كريم
٧٤٩	أيكولوجيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	ت: باتسى جمال الدين
٧٥٠	الإلياذة	هوميروس	ت: أحمد عتمان
٧٥١	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	مختارات	ت: علاء الدين عبد العزيز السباعى
٧٥٢	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	ت: نمر عاروري

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦١٧٧ / ٢٠٠٤





هذا الكتاب عبارة عن تشريح يكشف حملات التضليل والتحريف والقمع للآراء المغايرة، ويثبت كيف إن أى انتقاد للسياسات الإسرائيلية المخالفة للقوانين الدولية يتم خنقه قبل أن يرى النور من خلال تفسيره جزافًا كعداء للسامية، وأن القضاء سياسيا واجتماعيا على هؤلاء الناقدين يعتبر - على ما يبدو - إلزاميا لجعل هؤلاء عبرة لمن اعتبر. الحقائق الواردة فى هذا الكتاب تثير القلق أحيانًا وتكون محزنة أحيانًا أخرى، ولكنه يرفع المعنويات لأنه يثبت بقوة أنه لا يمكن إسكات الأصوات الحرة.